بسم الله الرحمن الرحيم

دولة فلسطين

وزارة التربية والتعليم العالي

العقيدة

للصف الحادي عشر

فرع التعليم الشرعي

المؤلفون

د. سعيد سليمان القيق «منسقاً»

د. موسى إسماعيل البسيط

د. خضر عبد اللطيف السده

أ. إسماعيل محمد النجار

د. إياد عبدالله جبور «مركز المناهج»

قررت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة فلسطين
تدريس كتاب العقيدة لفرع التعليم الشرعي ابتدءً من العام الدراسي ٢٠١٠ / ٢٠١١

- **الإشراف العام:** أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية

- **الفريق الوطني لمنهاج التعليم الشرعيّ:**

الإشراف والتنسيق الإداري للفريق الوطني:

أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية / وزارة التربية والتعليم العالي

أ. حسام محمد أبو الرب / وكيل مساعد / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

أ. محمد جهاد الكيلاني / قائم بأعمال مدير عام التعليم الشرعي / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الفريق الوطني:

د. إياد عبد الله جبور «منسقاً»
د. إسماعيل أمين نواهضة
د. حمزة ذيب مصطفى
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عيّاش

- **تحكيم علمي:** أ. د. حافظ محمد الجعبري
- **تحرير لغوي:** أ. رائد شريدة
- **الإخراج الفني:** أ. كمال فحماوي

الطبعة الأولى التجريبية
٢٠١٣ / ١٤٣٤ هـ

© جميع حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم العالي / مركز المناهج

مركز المناهج – حي المصيون – شارع المعاهد – أول شارع على اليمين من جهة مركز المدينة
ص .ب ٧١٩ – رام الله – فلسطين، تلفون ٢٩٦٩٣٥٠-٢-٩٧٠+ فاكس ٢٩٦٩٣٧٧-٢-٩٧٠+
الصفحة الالكترونية: www.pcdc.edu.ps – العنوان الالكتروني: pcdc@palnet.com

تقديم

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم، وبتوفيقه وفضله يكتب النجاح، والصلاة والسلام على خير من عَلِمَ فعلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من سلك دربه واتبع هديه إلى يوم الوعد المعلوم، وبعد،

فإن المنهاج التعليمي لأي مجتمع يمثل صورة ثقافية تربوية حضارية، يحرص أن تكون مشرقة تعبر عن أصالة معتقده وفكره، وتمثل اهتمامه البالغ في توعية أبنائه، وبناء شخصياتهم بناء يؤهلهم للإبداع في ميادينه كافة، ومن هنا جاء بناء المنهاج الشرعي الفلسطيني ترجمة لقرار مجلس الوزراء باعتماد مسار التعليم الشرعي الثانوي واحداً من مسارات التعليم الثانوي، واعتماد شهادة الدراسة الثانوية العامة – الفرع الشرعي – فرعاً من فروع الثانوية العامة في فلسطين.

كما أن التعليم الشرعي يشكل لبنة مهمة في المنهاج الفلسطيني، الذي دأبت السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، على بنائه وتطويره، وصولاً إلى منظومة تربوية شاملة، تحقق تكاملاً وتفاعلاً بين فروع العلم المختلفة.

وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء قامت وزارة التربية والتعليم العالي ممثلة بالإدارة العامة للمناهج الإنسانية، وبالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بالعمل على إنجاز هذا المنهاج مروراً بعدة مراحل كان أولها بناء الخطوط العريضة للمنهاج الشرعي الفلسطيني من خلال نخبة من العلماء الأجلاء، ثم القيام بتحكيم هذا العمل كذلك من خلال نخبة من العلماء والتربويين، وبعد ذلك تم الانطلاق بالمرحلة الثانية وهي تأليف الكتب الدراسية المقررة للصفين الحادي عشر والثاني عشر بالاعتماد على مجموعة من الفرق المتخصصة والتي اعتمدت على الخطوط العريضة والأهداف التي وضعت فيها.

إن وزارة التربية والتعليم العالي لا يسعها إلا أن تتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من شارك في إنجاز هذا العمل. وإنها إذ تفخر بالكفاءات الوطنية التربوية والأكاديمية التي شاركت في إنجاز هذا المنهاج لترجو من الإخوة المعلمين العمل على المشاركة في إنجاح هذا المنهاج وتيسير الوصول إلى أهدافه، باستثمار ما يتاح من وسائل تعليمية وإمكانات تربوية، والمشاركة في إثرائه أثناء التطبيق في الميدان التربوي.

وزارة التربية والتعليم العالي
مركز المناهج
الإدارة العامة للمناهج الإنسانية والاجتماعية
نيسان ٢٠١٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد إمام العلماء العاملين وعلى آله وصحبه المتقين ومن تبع هداهم وسار على منهجهم واقتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد:-

فهذا كتاب في «العقيدة الإسلامية» حرصنا على تأليفه لأبنائنا الأعزاء من طلبة الصف الحادي عشر الشرعي، وقد راعينا فيما عرض فيه من موضوعات تتلاءم مع مستوى النضوج العقلي والفكري لأبنائنا، من جهة وما يتسم به ديننا الحنيف من يسر، فقدمنا المعرفة بأسلوب سهل ميسر، يحفز العقول للتفكير والتحليل، والتركيب وربط المعرفة بواقع الحياة.

كما حرصنا على إثراء المحتوى التعليمي للكتاب بالنصوص الشرعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، مستفيدين من آراء العلماء.

وقد التزمنا في محتوى الكتاب ومنهجه القيم والمبادئ الأصلية، وأولينا الجانب الوجداني والسلوكي عناية واهتماماً، وكلنا ثقة بحرص المعلمين على ذلك؛ لان الفائدة من الكتاب لن تتحقق إلا بإخلاص وبذل جهودهم وإعمال خبرتهم في تدريسه.

فالوحدة الأولى وتتناول العقيدة الإسلامية من حيث مفهومها، وأهميتها، ومصادرها وخصائصها، وأثرها على الفرد والمجتمع ونواقض الإيمان بأنواعها الثلاث: الاعتقادية والقولية والعملية.

أمّا الوحدة الثانية فقد اشتملت على الإيمان بالله تعالى، ويشتمل على الأدلة على وجود الله تعالى وتوحيده، وأنواع الضلال.

أمّا الوحدة الثالثة، فقد تناولنا الحديث فيها عن الملائكة وأدلة الإيمان بهم وأعمالهم وصفاتهم، وأثر الإيمان بهم، وعلاقة الجن بالملائكة والإنسان.

أما الوحدة الرابعة، فقد اشتملت على الإيمان بالكتب السماوية السابقة من حيث التعريف بها، وبمن نزلت عليهم من الأنبياء وكذلك ما أصابها من تحريف، وذكر نماذج على ذلك، وموقف الإسلام من هذه الكتب السماوية المحرفة،

أما الوحدة الخامسة، فقد اشتملت على الإيمان بالأنبياء والرسل، ومفهوم النبوة والرسالة، وحاجة الناس إلى الرسل، وصفات الأنبياء والرسل، وختم النبوة والبشرى ببعثة محمد ﷺ.

أما الوحدة السادسة، فقد اشتملت على الإيمان باليوم الآخر مفهومه وأدلته، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى، ونعيم القبر وعذابه وأهوال يوم القيامة.

وأما الوحدة السابعة، فقد اشتملت على الإيمان بالقضاء والقدر مفهومه وأدلته، ومسألة الجبر والاختيار، والهداية والضلال، وآثار الإيمان بعقيدة القضاء والقدر.

وإننا إذ نطرح هذا الكتاب بين يدي أبنائنا الطلبة، وإخواننا المعلمين، لنرجو أن يكون في ملحوظاتهم حول ما فيه من موضوعات، إثراء يساهم في تطويره وتحسينه، فهذه نسخة أولى تجريبية، بذلنا فيها مجهودنا، فإن كان في ذلك إحسان فمن الله تعالى، وله الحمد والثناء الحسن، وإن كان غير ذلك، فمنا ومن الشيطان، والله ولي الغفران، وإياه سبحانه وتعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن ييسر تحقيق أهدافه.

والله ولي التوفيق

المؤلفون

المحتويات

الوحدة الأولى: العقيدة الإسلامية: أهميتها، مصادرها، خصائصها	الدرس ١	العقيدة: مفهومها وأهميتها وأثرها على الفرد والمجتمع	٢
	الدرس ٢	مصادر العقيدة الإسلامية	٥
	الدرس ٣	خصائص العقيدة الإسلامية (١)	٨
	الدرس ٤	خصائص العقيدة الإسلامية (٢)	١١
	الدرس ٥	نواقض الإيمان (١)	١٣
	الدرس ٦	نواقض الإيمان (٢)	١٦
الوحدة الثانية: الإيمان بالله تعالى	الدرس ٧	الأدلّة على وجود الله تعالى (١)	٢١
	الدرس ٨	الأدلّة على وجود الله تعالى (٢)	٢٤
	الدرس ٩	توحيد الله تعالى	٢٨
	الدرس ١٠	أنواع الضلال (١)	٣٢
	الدرس ١١	أنواع الضلال (٢)	٣٥
الوحدة الثالثة: الإيمان بالملائكة	الدرس ١٢	الإيمان بالملائكة: الأدلة على وجودهم وصفاتهم	٤٣
	الدرس ١٣	من أعمال الملائكة وأثر الإيمان بهم	٤٧
	الدرس ١٤	علاقة الجن بالملائكة	٥٠
	الدرس ١٥	علاقة الإنسان بالجن	٥٣
الوحدة الرابعة: الإيمان بالكتب السماويّة	الدرس ١٦	الإيمان بالكتب السماويّة	٥٧
	الدرس ١٧	الكتب السماويّة السابقة	٦٠
	الدرس ١٨	الكتب السماويّة السابقة بين التحريف والثبوت	٦٤
	الدرس ١٩	القرآن الكريم	٦٨
الوحدة الخامسة: الإيمان بالأنبياء والرُسُل	الدرس ٢٠	النبوة والرسالة: مفهومها وأدلتها	٧١
	الدرس ٢١	حاجة الناس إلى الرُسُل	٧٥
	الدرس ٢٢	صفات الأنبياء والرُسُل	٧٨
	الدرس ٢٣	ختم النبوّة	٨١
	الدرس ٢٤	البشرى ببعثة محمد ﷺ	٨٥

الوحدة السادسة الإيمان باليوم الآخر	الدرس ٢٥	الإيمان باليوم الآخر: مفهومه وأدلته	٨٩
	الدرس ٢٦	أشراط الساعة الصغرى	٩٢
	الدرس ٢٧	أشراط الساعة الكبرى	٩٥
	الدرس ٢٨	نعيم القبر وعذابه	٩٨
	الدرس ٢٩	أهوال يوم القيامة	١٠٢
الوحدة السابعة: الإيمان بالقضاء والقدر	الدرس ٣٠	الإيمان بالقضاء والقدر: مفهومه وأدلته	١٠٧
	الدرس ٣١	الجبر والاختيار	١١٠
	الدرس ٣٢	الهداية والضلال	١١٤
	الدرس ٣٣	آثار الإيمان بالقضاء والقدر	١١٧
المصادر والمراجع			١٢١

الوحـــدة

١

العقيدة الإسلامية
أهميتها، مصادرها، خصائصها

الدرس ١

العقيدة: مفهومها، وأهميتها وأثرها في الفرد والمجتمع

استعمل القرآن الكريم كلمة الإيمان في التعبير عن العقيدة، ولذا فالإيمان والعقيدة كلمتان مترادفتان، وإن كانت كلمة الإيمان لها إيحاء أعمق في النفس الإنسانية.

فما الفرق بين مفهومَي العقيدة والإيمان؟، وما أهمية العقيدة وأثرها في الفرد والمجتمع؟

تعريف الإيمان والعقيدة:

- **الإيمان في اللغة:** يطلق على التصديق.
- **وفي الاصطلاح:** تصديق القلب بحقائق هذا الدين وأركانه. وهذا يقتضي اجتماع ثلاثة أمور:

الأول: التصديق القلبي الجازم بأنّ الله سبحانه هو الإله الحقّ، لا شريك له، وأن محمداً رسول الله ومبلّغ شريعة ربه.

الثاني: الإقرار باللسان، ويعني تلفظ الإنسان بالشهادتين.

الثالث: عمل الجوارح بالأركان، والتزامها بمقتضيات هذا الإيمان من حيث الفعل أو الترك.

- **وأمّا العقيدة في اللغة:** مشتقة من الفعل عَقَدَ، بمعنى ربط وشدّ، والعقد نقيض الحل، يقال: عقدت الحبل فهو معقود ومشدود.

وتأتي عَقَدَ بمعنى أكد وألزم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ النحل: ٩١.

- **والعقيدة في الاصطلاح:** هي الحقائق التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً راسخاً، لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.

ومن هنا تلتقي المعاني اللغوية والاصطلاحية لكل من الإيمان والعقيدة، على معنى التصديق والجزم الذي يبدأ من القلب، ويشهد له اللسان، ويصدقه العمل الصالح.

أهمية العقيدة:

ولا شك أن الفرد الصالح -رجلاً كان أو امرأة- هو أساس المجتمع الصالح، ومقياس صلاح الفرد صحة عقيدته، واستقامة سلوكه، وسلامة فطرته. **وللعقيدة الإسلامية أهمية بالغة، وأثر عظيم في بناء الفرد وصلاح المجتمع تتمثل فيما يأتي:**

■ أولاً: أهمية العقيدة وأثرها في الفرد:

كان للعقيدة الإسلامية أثرها الواضح في الفرد، فقد أخرجته من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، وأنشأت جيلاً فريداً متميزاً من الصحابة الأبرار، وقد ظهرت آثارها في الفرد عبر جوانب متعددة:

- تعريف الإنسان بحقيقة نفسه، وسر وجوده، وماذا بعد وجوده، فلا يعود كماً مهملاً، أو مجرد مخلوق يعيش على هامش الحياة.
- تحرير عقل الإنسان وقلبه من الشرك والخرافة والعقائد الباطلة، وتوجيهه إلى عبادة الواحد الأحد؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦. وهذا ما عبر عنه ربعي بن عامر حين خاطب قائد الفرس قائلاً: إن الله ابتعثنا لنُخرِج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.
- بناء الإنسان الفاضل الملتزم في سلوكه وأخلاقه بالفضائل، البعيد عن الرذائل.
- ترسيخ محبة الله سبحانه في نفس المسلم، وكذلك محبة رسوله ﷺ، ومحبة الإسلام، فأثمرت طاعة والتزاماً وإيثاراً؛ قال ﷺ: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**».[1]
- زرع الطمأنينة والرضا في نفس المسلم، وهذا مقتضى إيمان المسلم بأهم قضيتين في حياته وهما: الأجل والرزق. فيعيش المسلم حياته راضياً مطمئناً بعيداً عن الخوف أو الهمّ أو الحزن.
- تربية الإنسان على الجرأة في الحق، انطلاقاً من واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصحية لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠.

وبذلك تتكون الشخصية الشمولية المتوازنة للفرد، بحيث تقوم على الاعتراف بكل جوانب تكوين الإنسان الروحية والجسدية والعقلية والنفسية، فيحرص على تلبية جميع احتياجاته روحية وعقلية وجسدية، فلا يطغى جانب على آخر ولا يهمل أو يتنكر لأيّ منها.

---

١ متفق عليه؛ رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

■ ثانياً: أثر العقيدة في المجتمع:

ينعكس تأثير العقيدة الإسلامية في الأفراد بشكل بيّن واضح على المجتمع الذي يتشكل من مجموع أولئك الأفراد، **وهذا يتجلى فيما يأتي:**

- إيجاد مجتمع متعاون على البر والخير، بعيد عن الأنّانية، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ المائدة: ٢ .
- إيجاد مجتمع متوحد ومترابط قائم على التراحم والمحبة بين المرء وأخيه، وبين أفراد الأسرة الواحدة ذكوراً وإناثاً، وبين مجموع أسره وأفراده.
- تحصين المجتمع من أيّ انحراف أو فساد، فالعقيدة هي التي تولد محبة الله، ثم تقوى الله وخشيته التي هي الضمانة الحقيقية لسلامة المجتمع، ففقدان العقيدة يضع المجتمع في مهب الريح، ويجعله سائغاً لأصحاب الأهواء والشهوات والفساد.

نشاط:

في ضوء فهمي لدور العقيدة في بناء المجتمع، أناقش المقولة الآتية:

صلاح الفرد صلاح للمجتمع.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) العقيدة والإيمان كلمتان مترادفتان.

ب ( ) تهتم العقيدة ببناء الإنسان الصالح: رجل أو امرأة.

جـ ( ) يهتم الإسلام بجانب الروح على حساب الجسد.

٢ أوضّح العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للعقيدة الإسلامية.

٣ أبيّن أسباب الطمأنينة لدى المسلم.

٤ أوضّح آثار العقيدة الإسلامية على المجتمع.

٥ أذكر أثر العقيدة الإسلامية على عقل المسلم.

٦ أستنبط من خلال الدرس ثلاث صفات للشخصية المتوازنة.

الدرس ٢

مصادر العقيدة الإسلامية

عرفت البشرية في تاريخها الطويل الكثير من العقائد والديانات، وكانت مصادرها متعددة: فمنها ما هو من وضع الإنسان؛ كالمجوسية، ومنها ما هو وحيٌ من السماء؛ كالديانات السماوية.

فالعقيدة الإسلامية مستمدة من الوحي المنزّل على الرسول محمد ﷺ، والوحي نوعان: وحي متلوّ وهو القرآن الكريم، ووحي غير متلوّ وهو السنّة النبوية المشرّفة، وقد اصطلح العلماء على تسمية المصدر الذي يعتمد على الوحي بـ«النقل»؛ لأنّه يعتمد النصوص المنقولة من القرآن، والأحاديث المأثورة عن المصطفى ﷺ.

القرآن الكريم

احتوى القرآن الكريم على قدْر عظيم من الآيات المتعلقة بالعقيدة بقصد ترسيخها في قلوب المؤمنين.

أفكّر:

الآيات الواردة في الأحكام الشرعية مقارنة مع الآيات التي تتحدث عن أمور العقيدة قليلة، فهي لا تعدو ستمئة آية. لماذا؟

جاء القرآن الكريم لترسيخ العقيدة الصحيحة، وتثبيتها في قلوب المؤمنين، وإيضاحها للناس أجمعين؛ وذلك لبيان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى عن الملائكة، والكتب، والنبيين، واليوم الآخر، والقدَر: خيرِه وشرِه، والإيمان بكل ما أخبر به المرسلون.

ظلّ القرآن الكريم يتنزل على رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة كاملة يؤكد فيها على قضية واحدة بأساليب متعددة، حيث كان يعالج القضية الكبرى الأساسية في هذا الدين الكريم، وهي العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسة: الربوبية والألوهية. كما اشتمل القرآن الكريم على كثير من المباحث العقدية، تثبيتاً للعقيدة الصحيحة ودحضاً للمعتقدات الفاسدة، **وقد اتخذ في ذلك وجهين اثنين هما:**

- **أحدهما**: هدم العقائد الباطلة.
- **وثانيهما**: بناء العقيدة الصحيحة التي تملأ النفس بالإيمان واليقين.

نشاط:

أرجعُ إلى القرآن الكريم وأُحصي في صفحة من صفحاته الآيات التي تتحدث عن موضوعات في العقيدة.

السنّة النبوية:

حفلت السنّة النبوية الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بأحاديث كثيرة في العقيدة تتعلق بالإيمان، وتوحيد الله وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله وأنبيائه وملائكته، وأشراط الساعة وأهوال القيامة، ونعيم القبر وعذابه. والناظر في كتب السنّة، وموسوعات الحديث، يجدها تفيض بموضوعات العقيدة على وجه التفصيل.

وقد كان الصحابة حريصين كلّ الحرص على التلقي عن رسول الله ﷺ، والتصديق بما جاء به، وحسن الفهم عنه، بعيداً عن الجدل والخلاف، ثم المسارعة إلى تطبيقه والالتزام بما يتلقونه من آية أو حديث في العقيدة.

كما يمكن الوصول إلى الإيمان بالله من خلال مسلكين:

الأول: مسلك الفطرة:

العباد مفطورون على الإيمان الصحيح كما ذكر الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠.

فمعرفة الله مركوزة في الفطرة، يقول النبي ﷺ: «**كل مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ فأبَواهُ يُهَوِّدانِه، أوْ يُنَصِّرانِه، أوْ يُمَجِّسانِه**»[1] ومعنى الفطرة هنا هي: «فطرة الإسلام»، فلو تُرك الصغير وفطرته لاهتدى إلى الإيمان، أمّا إذا وجد في بيئة غير بيئة الإيمان فإنه يتأثر بما يؤمن به أفراد بيئته.

نشاط:

أناقش المقصود بقول الرسول ﷺ: «**فأبَواهُ يُهَوِّدانِه، أوْ يُنَصِّرانِه، أوْ يُمَجِّسانِه**».

فكثير من الأفكار تصل إلى مرتبة العقيدة الراسخة عن طريق الهداية الفطرية، دون أن يستطيع المكلف إقامة الدليل المادي على ما يعتقد به، وهذه قضية مهمة جداً؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- فطر عباده على فهم الأمور بأبسط الدلائل، والأعرابي استدل على وجود الله -سبحانه وتعالى- بدلائل الفطرة؛ لأنَّ الفطرة تدل على أن هذا الكون لا بدّ له من خالق؛ فقال: **البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على الحكيم الخبير.**

١ رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين.

الثاني: مسلك العقل:

إن للعقل السليم دوراً في الاهتداء إلى وجود الخالق والاستدلال على وحدانيته، بيْد أنَّ هنالك قضايا في الاعتقاد ليس بإمكان العقل معرفة كنهها، مثل: ذات الله والروح والغيب، وفيما عدا ذلك فإنّ العقل البشري مدعوٌّ للنظر والتدبر فيه، فالعقل السليم لا يناقض النقل الصحيح، كذلك فإنّ العقل يدرك وجود الله وعظمته، واتصافه بصفات الكمال والجلال.

ويتضح مما سبق أنّ الفطرة والعقل السليم يلتقيان مع الكتاب والسنّة، ويدركان أصول الاعتقاد على الإجمال لا على التفصيل؛ فالفطرة يُتوصل بها إلى وجود الله وعظمته، وضرورة طاعته وعبادته، واتصافه بصفات العظمة والجلال على وجه العموم، والعقل يؤكد على هذه الفطرة ويعززها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يستطيع الإنسان الاهتداء بفطرته إلى وجود الله.

ب ( ) يكتفى بالقرآن الكريم مصدراً للعقيدة الإسلامية.

جـ ( ) الفطرة والعقل السليم تتفقان مع الكتاب والسنّة.

د ( ) الآيات القرآنية المختصّة بالأحكام أكثر من الآيات المتعلقة بالعقائد.

٢ اتخذ الأسلوب القرآني في تناول العقائد وجهين، أذكرهما.

٣ كيف تلقى الصحابة ﷺ العقيدة الإسلامية.

٤ أعلل: يطلق العلماء على المصدر الذي يستند إلى الوحي «النقل».

٥ أستنتج الفرق بين الاستدلال بالقرآن الكريم والاستدلال بالفطرة والعقل على الإيمان.

الدرس
٣

خصائص العقيدة الإسلامية (١)

بعد أن عرفنا مفهوم العقيدة الإسلامية، وأهميتها، ومصادرها، لا بدّ من التعرف على خصائص العقيدة التي ميّزتها عن غيرها من العقائد المحرّفة والباطلة، **وهذه الخصائص هي:**

العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية:

فالعقيدة الإسلامية إلهية المصدر، وهي بجميع أركانها وتصوراتها عن الخالق سبحانه والكون والإنسان والحياة عقيدة ربانية موحى بها من عند الله؛ قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى: ١٣.

ولقد ركّز القرآن على هذه الخصيصة، فنفى نفياً قاطعاً أن يكون لأحد من الناس أيّ تدخل في وضع شيء من هذه العقيدة، ودفعاً لما يتوهمه البعض من أنّ الرسول ﷺ هو الذي وضعها أو رسم معالمها، فقد بيّن القرآن أنّ محمداً ﷺ لم يكن إلا متلقياً من ربه ومبلّغاً عنه؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِى مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢.

ويترتب على كون العقيدة الإسلامية ربانية الأمور الآتية:

- القدسية والإجلال، ما يدفع إلى احترامها والالتزام بها.
- الحماية من أيّ عبث بشري يؤدي إلى التغيير أو التبديل، كما حصل للمعتقدات السماوية السابقة؛ ما جعلها تفقد خاصية الربانية.
- الحفظ من الخرافات والأوهام التي قد يميل إليها العقل البشري عند فقدانه التوجيه الإلهي.

أناقش:

هل هناك تعارُض بين ربانية العقيدة ودور العقل ومكانته فيها؟

انسجامها مع الفطرة واتفاقها مع العقل:

تمتاز العقيدة الإسلامية بأنّ كلّ ما جاءت به من حقائق يتفق مع الفطرة الإنسانية ولا يتناقض معها. وقد أثبتت النصوص الشرعية أنّ الإسلام دين الفطرة؛ يقول سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠.

كما يوضح النبي ﷺ هذه الحقيقة في قوله ﷺ: «**كل مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ فأبَواهُ يُهَوِّدانِه، أوْ يُنَصِّرانِه، أوْ يُمَجِّسانِه**»[1]، حيث يتبين من الحديث أنّ ما يحصل في الفطرة من انحراف من أسبابه البيئة المحيطة بالإنسان.

وانسجام العقيدة مع الفطرة يُدخِل السعادة والطمأنينة في نفس المؤمن، كما أنّ اتفاقها مع العقل كقوة واعية مدركة يدفع إلى التدبر والنظر في الكون والإفادة مما فيه من عجائب خلق الله الدالّة على قدرته سبحانه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٤.

يسرها ووضوحها:

اليسر والسهولة والوضوح من أبرز سمات العقيدة الإسلامية، فهي عقيدة يفهمها كلّ مسلم سواء أكان متعلماً أم أمّيّاً، كما أنّها تتلاءم مع كلّ المستويات العقلية والثقافية والاجتماعية؛ وذلك لأنّها خالية من التعقيد والغموض، **ومن مظاهر يسرها وسهولتها:**

١ وضوح الأساس الذي تقوم عليه وهو التوحيد، فالله واحد، وهو صاحب السلطان على كلّ مخلوق في هذا الكون؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١.

٢ العلاقة التي تقيمها بين العبد وربه علاقة واضحة، تتمثل في عبودية العبد لربه، فيتوجه إليه بالطلب والرجاء والخشية والدعاء دون واسطة أحد أو شفاعة الآخرين، فليس في الإسلام رهبانية، ولا رجال دين، ولا صكوك غفران، فالخلق جميعهم عند الله سواء، لا فضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ

١ سبق تخريجه.

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦ .

٣ تجاوب الناس معها عبر التاريخ الطويل، وانتشارها في معظم بقاع العالم في فترة وجيزة من غير إكراه أو إجبار، فالذين رفضوا العقيدة وناصبوها العداء قديماً وحديثاً هم غالباً من الجهلة الذين أغفلوا عقولهم وانقادوا لشهواتهم وأهوائهم .

نشاط صفّيّ:

أناقش مع زملائي كيفية الاستفادة من خاصّية وضوح العقيدة في دعوة غير المسلم إلى الإسلام .

التقويم

١ أذكر مظاهر يسر العقيدة الإسلامية .

٢ أوضّح انسجام العقيدة مع الفطرة الإنسانية .

٣ بمَ أرد على من يقول : إنّ العقيدة الإسلامية من وضع البشر .

٤ أبيّن ثلاثة من الآثار المترتبة على ربانية العقيدة الإسلامية .

٥ أبيّن المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦ .

الدرس

٤

خصائص العقيدة الإسلامية (٢)

تعرفنا في الدرس السابق على ربانية العقيدة الإسلامية ويسرها ووضوحها وانسجامها مع الفطرة البشرية، وفي هذا الدرس بيان لبقية الخصائص:

الوسطية والاعتدال:

العقيدة الإسلامية عقيدة وسطية تتسم بالتوازن من غير غلو ولا إسراف، ومن غير إفراط أو تفريط، ومن مظاهر وسطيتها:

- **موقفها من الخالق**، فقد جاءت وسطاً بين العقائد التي تنكر الخالق، وتنكر كلّ ما وراء الطبيعة، وبين العقائد التي تزعم أنّ للعالم أكثر من إله، كما أنّها وسط في نظرتها إلى أسماء الله وصفاته بين أهل التعطيل الذين أنكروا أسماء الله وصفاته، وبين أهل التمثيل الذين ضربوا لله الأمثال وشبهوه بالمخلوقات، فالعقيدة الإسلامية أثبتت جميع أسماء الله وصفاته الثابتة في النصوص الشرعية من غير تعطيل ولا تأويل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف.

نشاط:

أبحث عن المقصود بالتعطيل والتمثيل في أسماء الله وصفاته.

- **موقفها من الإيمان بالغيب**، فهي وسطية في الإيمان بالغيبيات بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كلّ ما وراء الحس؛ فالإسلام يدعو إلى الاعتقاد والإيمان، ولكن بما قام عليه الدليل القطعي، وماعدا ذلك يرفضه ويعتبره من الأوهام؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ البقرة: ١١١.

عقيدة شاملة:

العقيدة الإسلامية من جهة المعنى تشمل التصور الكامل عن الإله والكون والإنسان والحياة، فقد عرّفت الإنسان بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته، كما أنّها عرّفت الإنسان بالكون في أصل نشأته وطبيعته وخصائصه ومصيره، وعرّفته بحقيقة نفسه كإنسان في أصله وأطوار خلقه وغاية وجوده ورسالته في الحياة، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه العقيدة شملت أحكام الحياة كلّها.

عقيدة مُبَرْهَنَة:

العقيدة الإسلامية عقيدة مبرهنة، بمعنى أنها تقيم البراهين الساطعة والحجج الباهرة على كلّ مسألة فيها، ولا تلزم الناس بالتسليم الأعمى كما في بعض العقائد الأخرى، فالقرآن الكريم يقيم الأدلة من الكون والنفس على ربوبية الله وألوهيته، ويقيم الأدلة على البعث بخلق الإنسان أول مرة، وخلق السماوات والأرض وإحياء الأرض بعد موتها، وليس هناك مسألة واحدة من مسائل العقيدة إلا وهي مبرهنة، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ يونس: ٣١-٣٢.

أناقش:

العقيدة الإسلامية عقيدة مبرهنة، أناقش مع زملائي الدور الذي تؤديه هذه الخصيصة في تثبيت الإيمان في النفس.

الثبات:

إنّ العقيدة الإسلامية عقيدة ثابتة محددة في حقائقها وأركانها، بمعنى أنّها يقينية ذات مفاهيم ثابتة لا تتغير ولا تتطور عبر الأزمان، فلا مجال فيها للزيادة والنقص، ولا تقبل التحريف والتعديل. وثبات العقيدة لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنّما يعني وجود مقاييس وموازين ثابتة لكلّ أمر؛ لذا يجب الالتزام بها، وهذه المقاييس يقاس بها نشاط البشر، ويعرف بموجبها الحق من الباطل، والخير من الشر، وفي نطاق حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويكتشف ويطور من وسائل عيشه. ولقد ضمن ثبات العقيدة التماسك للمجتمع الإسلامي أمام الأزمات، وهذا الثبات هو الذي يحول بين الأمة والانحراف.

التقويم

١ أذكر المجالات التي تظهر فيها وسطية العقيدة.

٢ ما المقصود بالشمول في العقيدة الإسلامية؟

٣ هاتِ دليلاً من القرآن الكريم في الاقتناع بالعقيدة الإسلامية.

٤ أناقش العبارة الآتية: ثبات العقيدة لا يعني تجميد النشاط الإنساني.

الدرس ٥

نواقض الإيمان (١)

عرفنا فيما سبق أنّ من مسميات العقيدة الإسلامية (الإيمان) وهو التصديق بالقلب، والإقرار باللّسان، والعمل بالجوارح. ونتعرض في هذا الدرس إلى بيان نواقض الإيمان، وأنواعه.

- **فنواقض الإيمان**: هي كلّ اعتقاد أو قول أوعمل يبطل به أصل الإيمان؛ فيُخرِج صاحبه من الإيمان إلى الكفر.

أتعلّم:
يطلق العلماء على نواقض الإيمان مسمى آخر وهو(المكفرات).

أنواع نواقض الإيمان:

يقسم العلماء نواقض الإيمان إلى ثلاثة أنواع: نواقض اعتقادية، ونواقض قولية، ونواقض عملية، وهذا التقسيم الذي ذكره العلماء مبني على أسس، منها: أنّ الاعتقاد هو الأصل لمظاهر السلوك الإنساني في القول والعمل، بل قد يكون هذا السلوك ناشئاً عن الاعتقاد، وعندها تصبح هذه المظاهر دالّة على المعتقدات القلبية. كما أنّ الأقوال والأعمال الدالّة على الكفر لا تظهر عادة إلا من كافر في عقيدته، إلا أنّنا لا نحكم على الإنسان بالكفر لمجرد أن صدر منه ذلك قولاً أو عملاً؛ لاحتمال وجود مانع من موانع التكفير، كما سنذكره عند الحديث عن موانع التكفير، ومن هذه الأسس أيضاً أنّ النواقض الاعتقادية لا يدخلها الإكراه.

وسنتناول في هذا الدرس الحديث عن النواقض الاعتقادية: أصولها، وصورها:

نواقض الإيمان الاعتقادية:

النواقض الاعتقادية: هي الاعتقادات التي تخالف ما عليه أصل الإيمان، أو أيّ ركن من أركانه.

وهذه النواقض أصولها ثلاثة:

أولاً: الطعن في حق الله سبحانه وتعالى:

فالإيمان بالله عز وجل لا يتحقق إلا بالإقرار بربوبيته وألوهيته سبحانه، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وكل اعتقاد تضمن طعناً في واحد منها يُعَدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان.

ومن صور الاعتقادات التي تتضمن طعناً في حق الله سبحانه وتعالى:

١ اعتقادات تتنافى مع توحيد الربوبية؛ كإنكار وجود الله، أو إسناد الخلق لغير الله تعالى؛ كإسناده للطبيعة أو الصدفة أو نحوهما، فكل ذلك يُعَدُّ طعناً في الربوبية.

٢ اعتقادات تتنافى مع توحيد الألوهية، فكل مَن أقرّ بالعبودية لغير الله، أو جعل لله شريكاً في عبادته، فقد طعن في ألوهيته سبحانه؛ لأنّ الله أغنى الشركاء عن الشرك، وهذا يتنافى مع عقيدة (لا إله إلا الله) التي تعني: أن لا معبود بحق سوى الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٤٨.

٣ اعتقادات تتنافى مع توحيد الله عز وجل في أسمائه و صفاته، وهي نوعان: نفي وإثبات:

- فإثبات صفة لله -تعالى- نفاها عن نفسه، أو نفاها عنه رسول الله ﷺ يُعَدُّ ناقضاً للإيمان؛ كإثبات الولد أو الجهل أو البخل أو المرض أو غيرها من الصفات التي تعتري البشر.
- نفي صفة أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسول الله ﷺ يُعَدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان؛ كنفي علمه أو قدرته أو سمعه أو بصره أو غيرها من الصفات الثابتة في القرآن أو السنّة؛ قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

■ ثانياً: الطعن في حق الرسول ﷺ:

محمد ﷺ رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٠، اجتباه الله تعالى واصطفاه من خلقه؛ ليكون رحمة للعالمين، فهو بشر يوحى إليه؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ الكهف: ١١٠.

والصدق والأمانة والعصمة من صفات الأنبياء؛ لذا فإنّ كلّ اعتقاد يخالف ذلك يُعَدُّ من نواقض الإيمان.

ومن صور الطعن في حقه ﷺ: الطعن في صدقه أو أمانته أو عصمته أو وصفه بصفة لا تليق بمقام الأنبياء أو ادعاء أنّه ليس خاتم الأنبياء والمرسلين أو بعث لقوم دون غيرهم، فمن اعتقد ذلك فقد نقض الشهادة وحكم بكفره.

■ ثالثاً: الطعن في الرسالة أو ما فيها من أحكام أو أخبار:

ومن صور ذلك:

- **الحكم بغير ما أنزل الله تعالى:** فمن حكم بغير ما أنزل الله معتقداً نقصان الشريعة، وأنّ حكم غير الله مثل حكم الله أو أفضل منه فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤.

- **إنكار ما علم من الدين بالضرورة**؛ أيّ إنكار ما دلت عليه النصوص الشرعية القطعية في ثبوتها ودلالتها، **وهو نوعان**:

الأول: **ما يتعلق بالأحكام الثابتة**؛ كوجوب الصلاة والزكاةوتحريم الزنا والخمر والربا، وغيرها.

الثاني: **ما يتعلق بالأخبار الثابتة**؛ كأخبار الآخرة والبعث والحساب والجنة والنار والملائكة والكتب السماوية والقدر خيره وشره؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ النساء: ١٣٦؛ فثبات المؤمن على عقيدته، وحفاظه عليها من كلّ ما يطعن فيها، وحرصه على طاعة الله عز وجل، حصن له من الوقوع في الضلال والكفر.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) إسناد الخلق لغير الله سبحانه ينقض الإقرار بالربوبية، ويُعَدُّ من نواقض الإيمان.

ب ( ) وصف الأنبياء عليهم السلام بما لا يليق بمقامهم يُعَدُّ كفراً وخروجاً من الملّة.

٢ أعرّف نواقض الإيمان.

٣ الاعتقادات التي تتنافى مع توحيد الله سبحانه في أسمائه وصفاته نوعان، أوضّحهما.

٤ أمثّل بصورة واحدة لكلّ ناقض من نواقض الاعتقاد الآتية:

أ إنكار ما عُلم من الدين بالضرورة.

ب الطعن في حق النبي ﷺ.

٥ نواقض الإيمان الاعتقادية ترجع في أصولها إلى ثلاثة أنواع، أذكرها.

٦ أعللّ ما يأتي:

أ الحكم بغير ما أنزل الله يُعَدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان.

ب قسم العلماء نواقض الإيمان إلى: اعتقادية، وقولية، وعملية.

الدرس

٦

نواقض الإيمان (٢)

تعرفنا في الدرس السابق على النواقض الاعتقادية للإيمان، وستتعرف في هذا الدرس على النواقض القولية والعملية.

نواقض الإيمان القولية:

نواقض الإيمان القولية: هي كلّ قول فيه اعتراف بعقيدة باطلة، أو فيه جحود لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، أو فيه استهزاء بعقائد الدين أو أحكامه، **ومن صور ذلك**:

- سبّ الله تعالى أو سبّ النبي أو أحد الأنبياء أو سبّ مَلَك من الملائكة أو سبّ الدين أو الكتب السماوية، وكل قول لا ينزه الله تعالى عن العيوب والنواقص؛ كنسبة الظلم والجور إليه سبحانه.
- الاستهزاء بعقائد الدين وأحكامه؛ كالاستهزاء بالرسل أو بالجنة أو النار أو غير ذلك من العقائد، وكالاستهزاء بالصلاة أو الصيام أو الحج أوغيرها من الأحكام؛ قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦.

نشاط صفّيّ:

أناقش رأي الإسلام فيما يتناقله بعض الناس من شتائم واستهزاء بالدين من باب الفكاهة.

نواقض الإيمان العملية:

نواقض الإيمان العملية: هي كلّ عمل يعتبر علامة ظاهرة دالّة على عقيدة باطلة.

ومن صور ذلك:

- **التوجه بأيّ شكل من أشكال العبادة لغير الله سبحانه**؛ كالسجود والركوع لغير الله، مثل: السجود للأصنام أو الكواكب أوللظواهر الكونية أو غيرها من أشكال العبادة؛ قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥.

- **أعمال تدل على الإقرار بعقائد غير المسلمين**؛ أو بتمجيد شعائرهم أو التشبه بهم، وبأحوالهم أو أداء طقوسهم الدينية.
- **أعمال أجمع المسلمون على أنها لا تصدر إلا من كافر**؛ كامتهان القرآن الكريم أوتمزيقه، وكذلك مجالسة الكفار المستهزئين بآيات الله؛ لأنّ هذا يُعَدُّ رضا بما هم عليه من كفر؛ قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٤٠.

الولاء والبراء من لوازم الإيمان:

لما كان أصل الولاء الحبّ والنصرة، ومنه محبة الله ورسوله والمؤمنين، ومناصرتهم بالنفس والمال واللسان، وأصل البراء البغض و المعاداة، ومنه بغض الكفار ومعاداتهم وما هم عليه، فواجب المسلم أن يتولى الله ورسوله والمؤمنين، ويتبرأ من الكفار ولا يتولاهم أو يناصرهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران: ٢٨.

فموالاة الكفار والتقرب إليهم ومناصرتهم ومحبتهم وإظهار الودّ لهم بالأقوال أو الأفعال أو النوايا تُعدُّ من نواقض الإيمان.

من صور موالاة الكفار:

- الرضا بكفرهم وعدم تكفيرهم أو الشكّ في كفرهم، واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء، أو التشبه بهم فيما هو من خصائصهم ومعتقداتهم؛ لقوله ﷺ: «**من تشبّهَ بقوم فهو منهم**»[1].
- مدحهم والدفاع عنهم، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: ١١٨.

موانع التكفير:

موانع التفكير: هي الضوابط التي بوجودها ينتفي الكفر، وبانتفائها ينتفي الإيمان.

ومن موانع التكفير:

- **الإكراه**: فقد يُكرَه المرء على قول أو عمل مكفّر دون أن يعتقد الكفر، ففي هذه الحالة يُعَدُّ

١ رواه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث رقم ٤٠٣٣.

الإكراه مانعاً من موانع الكفر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النحل: ١٠٦.

والمعلوم أنّ الإكراه لا يكون إلا على الفعل أو القول، أمّا الاعتقاد فلا يدخله الإكراه؛ لأنّ محله القلب؛ إذ لا سلطان لأحد عليه.

- **الجهل بعقائد الدين وأحكامه**، فمن كان حديثَ عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية أو مكان بعيد عن أهل العلم، فإنّه يعذر بجهله في كثير من الأحكام الظاهرة الثابتة بالواجبات أو المحرمات أو أصول العقائد، ولا يُعَدُّ ما صدر عنه ناقضاً من نواقض الإيمان، فلا يحكم بكفره لجهله بعقائد الدين وأحكامه؛ لأنّ الجهل من موانع التكفير.

خطورة التكفير من غير دليل:

وهذه الضوابط توجب علينا عدم التسرع في تكفير مَنْ يصدر عنه ناقض من نواقض الإيمان، فلا تجوز الشهادة على إنسان بالكفر، إلا ببرهان قطعي، لا لمجرد أن صدر عنه ما يُعَدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان؛ لاحتمال أن يلحقه مانع من موانع التكفير.

فعلى المسلم أن يتجنب إطلاق لفظ الكفر على غيره من المسلمين، وقد حذر منه العلماء بدليل قول النبي ﷺ: «**إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[1]، ولا يُحمَل معنى الحديث على ظاهره إلا فيمن استحل ذلك أو اعتقده؛ لأنّ هذا يعتبر من المعاصي، وقد يؤول ذلك به إلى الكفر، والمعاصي بريد الكفر، ويخاف على المُكْثِرِ منها أن تكون عاقبة شؤمها المصير إليه، وليترك المسلم قضايا التكفير للعلماء الذين هم أعلم منه بنواقض الإيمان، وما يتصل بها من ضوابط، وما يترتب عليها من أحكام.

نشاط:

أرجع إلى كتاب (في أسباب النزول)، وأذكر سبب نزول الآية (١٠٦) من سورة النحل.

١ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه يا كافر.

التقويم:

١ أضعُ دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي :

أ واحدة من الآتية من نواقض الإيمان :

١ شرب الخمر حال الإكراه .
٢ شرب الخمر مع الجهل بحرمتها .
٣ شرب الخمر مع إنكار حرمتها .
٤ شرب الخمر مع الإقرار بحرمتها .

ب نواقض الإيمان التي لا يدخلها الإكراه :

١ النواقض العملية .
٢ النواقض الاعتقادية .
٣ النواقض القولية .
٤ النواقض جميعها .

جـ يُعَدُّ منكر الجنة أو النار :

١ كافراً .
٢ فاسقاً .
٣ مؤمناً .
٤ فاسداً .

٢ أعرّف الآتية :

■ نواقض الإيمان القولية ■ الولاء ■ البراء ■ موانع التكفير

٣ أعلل : لا يجوز التسرع في الحكم على مَنْ صدر عنه ناقض إيماني بالكفر .

٤ الجهل بأحكام الدين وعقائده من موانع التكفير . أوضّح ذلك، مع الدليل .

٥ أبيّن المعنى المستفاد من قوله ﷺ : «**من تشبّهَ بقوم فهو منهم**» .

الوحـــدة

٢

الإيمان بالله تعالى

الدرس

٧

الأدلّة على وجود الله تعالى (١)

إنّ الناظر إلى ما في الكون والحياة والإنسان من عناية وإتقان، وإلى ما يحتكم إليه من قوانين وسنن؛ ليوقن أنّ وراء هذا الوجود قوة عظمى، وأنّ هذه القوة هي الموجِدة له والمهيمنة عليه، و أنّه لا بُدّ لهذا الكون من خالق، وهو -وحده- المتصرف، وقد منحه هذا التدبير والتنظيم والعناية والإتقان.

وحتى يسهّل الله تعالى للإنسان طريق الهداية والإيمان منحه العقل، ومن ثَمّ خاطبه الله بالحجج والبراهين، وبث في الكون الفسيح آيات وشواهد؛ ليستدلّ بها على وجوده سبحانه وتعالى.

الأدلّة العقليّة:

- **مفهوم الدليل العقليّ**: هو كلّ حجّة، أو برهان جاء به العقل من عنده؛ لإثبات حقيقة معينة.

والأدلّة العقليّة على وجود الله تعالى كثيرة بحيث لا تدع لباحث منصف أن ينكرها أو يتنكر لها، ومنها:

أولاً: دليل الخلق:

دعا الله -سبحانه- العقل إلى إدراك حقيقة وجوده -جلّ وعلا- من خلال الخلق الذي هو فعل من أفعاله لا يقدر عليه أحد سواه؛ قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ الطور: ٣٥-٣٦.

فالذين ينكرون وجود الله -سبحانه وتعالى- لا بُدّ أن يسألوا أنفسهم: أَخُلِقوا من غير خالق؟ أم هم الذين خلقوا أنفسهم؟.

وعندها لا يستطيع أحد الإدّعاء بأنّه مخلوق من غير خالق، ولا أنّه خلق نفسه بنفسه، فلا تبقى والحال هذه إلا حقيقة واحدة، وهي الإقرار بوجود الخالق جلّ وعلا.

ومن هنا فقد تحدى -سبحانه- البشر، وغيرهم أن يقوموا بالخلق، مهما صَغُرَ شأن المخلوق؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الحج: ٧٣، وأمام عجز الإنسان عن الخلق، لا بُدّ من الإقرار بأنّ الخلق قد صدر عن خالق، وهو الله تعالى، ولهذا كانت أول آية نزلت من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ العلق: ١.

■ ثانياً: دليل العناية:

ويقوم على قاعدة عامة: أنّه لا مجال في الكون للعبث والباطل، بل الكون كله قائم على أساس النظام والإحكام؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الدخان: ٣٨ - ٣٩، فدليل العناية يعتمد على النظر العقليّ في نظام الأشياء، حتى يتبين العقل كمال العناية، والحكمة من ورائه، فيتوصل من خلال ذلك كله إلى حقيقة وجود الله، وإبطال ما يلحد به المبطلون، الذين ينسبون الخلق للصدفة، أو الطبيعة الصمّاء، فمن خلال التباين والتنوع والاختلاف في الأشياء والأجسام والأحوال، لا بُدّ أنّ يكون وراء ذلك فاعلٌ قاصدٌ مريدٌ، ومثاله: مشهد من المشاهد التي قد يغفل عنها العقل: الأرض واحدة، والماء واحد، إلا أنّ الثمار مختلفة اللون، والطعم، والرائحة؛ قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ لقمان: ١٠.

نشاط:

أمثّل على دليل العناية، مما أشاهده في هذا الكون.

■ ثالثاً: دليل الإتقان:

إنّ المرء يستدلّ من خلال ما يراه، أو يشاهده من أشياء مصنوعة بإتقان على عظمة الصانع، ومن هنا كان دليل الإتقان من أعظم الأدلّة على وجود الله تعالى، ويظهر ذلك جلياً من خلال ما نشاهده في أنفسنا من آيات دالّة على إتقان صنع الله؛ قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣ ومن خلال ما نشاهده في الكون من حولنا؛ كالنجوم والكواكب، وما في السماء من عالم الفلك، وفي عالم الحيوان بأنواعه المختلفة، وأشكاله، وطرق عيشه في البرّ والبحر والأرض سهولها وهضابها وجبالها وبحارها؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٤، فلا بُدّ من خالق أبدع هذه العوالم، ولا يمكن أن يكون هذا الإتقان من صنع طبيعة صمّاء مسيّرة، لا تقدر على شيء، بل عاجزة، ومحتاجة للسنن والقوانين التي تحكمها، فنستدلّ بهذا كله على وجود الله تعالى الذي أبدع كلّ شيء؛ قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨.

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد آيات كثيرة تخاطب العقل للوصول إلى حقيقة وجود الله تعالى، وحتى يقيم -سبحانه- الحجّة على عباده لم يترك قضية الاستدلال على وجوده للعقل وحده، بل دعم ذلك بأدلّة أخرى نقليّة وفطريّة، وهذا ما سنتناوله في الدرس القادم.

التقويم

١ ما المقصود بالدليل العقليّ؟

٢ أبيّن كيفية إثبات وجود الله تعالى من خلال دليل الخلق؟

٣ دليل الإتقان في الكون من الأدلّة الدالّة على وجود الله تعالى، أشرح ذلك مع الدليل؟

٤ أبيّن المعنى المستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

الدرس

٨

الأدلّة على وجود الله تعالى (٢)

بعد أن عرفنا بعض الأدلّة العقليّة على وجود الله تعالى، سنتعرف في هذا الدرس على الأدلّة الفطريّة التي أودعها الله تعالى في النفس البشريّة، والأدلّة النقليّة التي أنزلها الله تعالى وخاطب بها عباده؛ لتكون حججاً، وبراهين على وجود الله سبحانه.

الأدلّة الفطريّة:

- **الفطرة لغة**: الخِلْقة، والفَطْر: الشقّ، والابتداء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما (فاطر السماوات)؟، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أيّ ابتدأتها.
- **اصطلاحاً**: هي ملّة الإسلام التي خلق الله الإنسان عليها، حيث يولد سالماً من الكفر والإلحاد؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠

وأصل هذه الفطرة هو العهد الذي أخذه الله على بني آدم، وهم في عالم الذرّ؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢.

وما دامت قلوب البشريّة مؤهلة للدين الحق، وقبوله، وهو ما طُبعت عليه النفوس، فمن أين جاءت لوثة الكفر والإلحاد والتنكر لوجود الخالق جلّ وعلا؟، والجواب على ذلك: أنّ فساد الفطرة آتٍ من المؤثرات الخارجة عن النفس؛ كتأثير الوالدين، أو البيئة التي يعيش فيها الإنسان، أو ما يسيطر عليه من شهوات وغرائز؛ قال الرسول ﷺ: «**كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجّسانه**»[١]، وفي رواية أخرى: «**إلا على هذه الملّة، حتى يبين عنه لسانه**»[٢].

ومن ملوثات الفطرة طاعة الشيطان والاستجابة له بعد تحذير الله عباده من اتّباع خطواته، ففي الحديث القدسيّ: «**وإنّي خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وأنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[٣].

١ رواه البخاريّ، كتاب الجنائز / باب ما قيل في أولاد المشركين.
٢ رواه مسلم، كتاب القدر / باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.
٣ رواه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها / باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

الاستدلال على وجود الله بطريق الفطرة:

كما بيّنا آنفاً، فإنّ الإنسان مفطور على ملّة الحقّ، وهي الإسلام، وإن لم يستطع إقامة الدليل على ذلك، ومع ذلك فهناك الكثير من الأدلّة الفطريّة الموجبة للإقرار بوجود الخالق جلّ وعلا، منها:

أولاً: الشعور الفطريّ بوجود الله:

وهذا الشعور بوجود الخالق منغرس في أعماق النفس البشريّة، فهو يؤمن به إيماناً عميقاً، ولا يمكن له إنكاره، أو تجاهله، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: أنّ الإنسان يقرّ في أعماقه بوجود قوة يلجأ إليها، وخاصة في أوقات الشدّة والضيق، عندما ينقطع الرجاء ممّن حوله من الخلق، وهذه القوة وحدها القادرة على إنقاذه ممّا هو فيه، وبلا شكّ فهذه القوة هي الخالق الواحد الأحد، إنّه الله جلّ وعلا. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ يونس: ١٢.

نشاط:

أرجع إلى الآيتين (٢٢-٢٣) من سورة يونس، وأتبيّن من خلالهما دلالة الفطرة على الله تعالى.

ثانياً: دلالة الهداية:

لقد خلق الله تعالى المخلوقات، وأودع فيها ما يرشدها إلى وظيفتها وما فيه صلاحها، وصلاح أمرها، ونرى هذا جلياً في الإنسان والطير والحيوان وغيرها من المخلوقات، وهذه الهداية الفطريّة مكنونة في أعماق النفوس، وعلى اختلاف تنوعها؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه: ٤٩-٥٠ والشواهد على ذلك كثيرة، منها: العوالم جميعها وطرق عيشها، والنمل والنحل والطير والزواحف والإنسان، فالإنسان ساعة ولادته، مَنْ هداه إلى ثدي أمه يلتقمه ويرضع منه؟، أليس هو الله تعالى؟ والجواب على ذلك: بلى، إنّه الله تعالى.

ومع ذلك، فقد تنحرف النفس البشريّة، وتفسد الفطرة نتيجة للغرائز والشهوات، وتعمى القلوب، وعندها فإنّ الله تعالى لا يترك عباده، بل لا بُدّ من تعريفهم حقيقة الخالق، وذلك بإرسال الرُسُل بالهدى، والبيّنات، وهذا هو الدليل النقليّ على وجود الله تعالى.

■ الأدلّة النقليّة:

- **الدليل النقليّ**: كلّ حجة أو برهان أوحى به الله إلى الرُسُل عليهم السلام ليبلغوه للناس، فقد أرسل الله تعالى الرُسُل لهداية الناس، وتعريفهم بالله، وتبليغهم العقائد الصحيحة، والقضاء على الكفر والشرك والإلحاد؛ قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ٥٦١ .

وقد أيّد الله -سبحانه- رسله بمعجزات دلّت على صدقهم، وهذه المعجزات خارقة للقوانين والسنن الكونية؛ لأنّ السنن الكونية لا يمكن خرقها إلا بإرادة مَنْ وضعها، وهو الله -سبحانه-؛ فقد أجرى خرقها على يد أنبيائه ورسله؛ للتحدي بها.

■ من الأدلة النقلية:

أوحى الله تعالى إلى رسوله من الآيات القرآنية ما يرشد الإنسان إلى الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، ومن ذلك:

- اتّباع توجيهات الرسول في بيان حقيقة وجود الله والإيمان به؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ الأحزاب: ٥٤-٦٤ .
- اتّباع منهج الرسول في الإيمان بالله تعالى وما يتبع ذلك من حقائق الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ٥٨٢ .
- التعريف بالله ووحدانيته؛ قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٦١ .
- إقامة الحجج والبراهين على وجود الله تعالى: وقد استخدم القرآن في ذلك الكثير من الأساليب؛ لإثبات وجود الله تعالى، منها ما يلفت الأنظار لما في الكون، ومنها: الحوار، ومنها: الجدل والمناظرة، وإيراد القصص القرآنيّ، وضرب الأمثال، والتحدي وغيرها؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ الرعد: ٦١ .

وبعد هذا كلّه؛ فمن فسدت فطرته وضلّ عقله ولم يستجب لنداء ربه، فإنّ جهنم له مصير.

أقرأ وأستمتع:

- يروى أنّ بعض الزنادقة أنكر وجود الصانع (الله تعالى) عند الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، فقال له جعفر: هل ركبت البحر؟، قال الرجل: نعم. قال جعفر: هل رأيت أهواله؟، قال الرجل: بلى، هاجت يوماً رياح هائلة؛ فتكسرت السفينة، وغرَّقتِ الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثمّ ذهب عني ذلك اللوح، فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج، حتى دُفِعْتُ إلى الساحل. قال جعفر: قد كان اعتمادك قبلُ على السفينة، والملّاح، ثمّ على اللوح، حتى ينجيك، فلما ذهبت الأشياء عنك، هل أسلمت نفسك للهلاك؟، أم كنت ترجو السلامة بعد؟، قال الرجل: بل رجوت السلامة، قال جعفر: مِمّن كنت ترجوها؟، فسكت الرجل، فقال جعفر: إنّ الصانع هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت وهو الذي أنجاك من الغرق؛ فأسلم الرجل.
- ثعبان الماء: متى اكتمل نموه هاجر من مختلف البرك، والأنهار قاطعاً آلاف الأميال في المحيط، قاصداً إلى الأعماق السحيقة جنوب برمودا، حيث ملتقى ثعابين الماء من كلّ أنحاء العالم، وهناك يبيض، ويموت، أما صغارها لا تملك وسيلة تتعرف بها على أيّ شيء سوى أنّها في مياه قفرة فتعود أدراجها، وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها، ومن ثمّ إلى كلّ نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة، ولذا يظل كلّ جسم من الماء آهلاً بثعابين البحار، ولم يحدث قطّ أنّ صيدَ ثعبان ماء أمريكيّ في المياه الأوروبية أو العكس.[1]

التقويم

١ أعرّف: الفطرة، الدليل النقليّ.

٢ من الأدلّة الفطريّة على وجود الله تعالى الهداية، أشرح ذلك، مع مثال توضيحيّ؟

٣ أذكر دليلين من الأدلّة النقليّة على وجود الله تعالى؟

٤ أبيّن ما يدل عليه قوله ﷺ: **(كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجّسانّه)**.

٥ أعلل: أيّد الله تعالى الرُسُل بالمعجزات.

٦ أبيّن كيفية وصول لوثة الإلحاد والكفر إلى النفس البشريّة؟

٧ استخدم القرآن الكثير من الأساليب في إثبات وجود الله تعالى، أذكر ثلاثة منها؟

١ كتاب الله جل جلاله، سعيد حوى، ص ٧٦.

الدرس
٩

توحيد الله تعالى

الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله ربّ كلّ شيء ومليكه وخالقه، وهو وحده الذي يستحق أنّ يتفرد بجميع أنواع العبادة، وأنّ له الأسماء الحسنى، وأنّه سبحانه المتصف بصفات الكمال كلها، والمنزّه عن كلّ نقص، ولا يكون العبد مؤمناً بالله حتى يعتقد بأنّ الله ربّ كلّ شيء ولا ربّ سواه، وإله كلّ شيء، ولا إله غيره.

أنواع التوحيد:

يتضمن الإيمان بالله، وتوحيده ثلاثة أمور:

توحيد الربوبيّة:

هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى ربّ كلّ شيء ولا ربّ سواه، والإقرار بأنّ الله -سبحانه- الخالق المالك المدبّر المحيي المميت؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الأعراف الآية ٥٤.

أهمية هذا النوع:

لمّا كان الله هو الخالق المالك المدبر فهو الجدير -وحده- بالتوجه إليه بالعبادة، والمستحق للحمد والشكر؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١-٢٢.

وهذا النوع من التوحيد يقرّ به كثير من الناس، ولم يجحده إلا المادّيّون، وقد بيّن القرآن الكريم ذلك في العديد من الآيات؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت: ٦١. ويفترض بمَنْ يؤمن بربوبية الله تعالى أن يعبده وحده، ولا يشرك بعبادته، ومَنْ أقرّ بربوبية الله تعالى ولم يوحده في ألوهيته وأشرك معه غير ه في العبادة، لم ينفعه هذا النوع من التوحيد، ولا يُخرجه من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ يوسف: ١٠٦.

توحيد الألوهيّة:

الألوهيّة من الإله، والإله هو المألوه؛ أيّ المعبود. **فتوحيد الألوهيّة** هو: الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى هو الإله الحقّ ولا إله غيره، وهو -وحده- المستحقّ للعبادة ولا معبود بحقّ سواه.

نشاط:

أُسَمّي خمسةً من صور العبادة لله تعالى.

أهمية هذا النوع:

هو أهمّ أنواع التوحيد، فلا يُقبل إيمان المرء إلا به، فمن أجله خلق الله الخلق؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، وبهذا التوحيد يفرّق بين المؤمن الحق، والمشرك، وعليه يقع الجزاء، والثواب، ومن أجله أرسلت الرُسُل؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل ٣٦.

نشاط:

أرجع إلى القرآن الكريم، وأكتب ثلاث آيات فيها دعوة الرُسُل إلى توحيد الألوهيّة.

لوازم توحيد الألوهيّة:

يستلزم هذا النوع من التوحيد أن يتوجه إلى الله -وحده- بجميع أنواع العبادة، وأشكالها، ومن ذلك:

- وجوب إخلاص المحبة لله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة ١٦٥.
- التحاكم لشرع الله تعالى، والرضا به، والتسليم له؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.
- وجوب إفراد الله تعالى بالخوف والرجاء، فمن اعتقد أنّ بعض المخلوقات تضرّه بمشيئتها، وقدرتها، فخاف منها، فقد أشرك؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام ١٧.
- وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات؛ من صلاة ودعاء وتوكُّل وغيرها من صور العبادة؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

■ توحيد الله في الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات هو الاعتقاد الجازم بأنّ لله -سبحانه- أسماء وصفات سَمّى بها نفسه ووصف بها ذاته، وردت في القرآن الكريم، والسنّة الصحيحة؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف ١٨٠.

وقال رسول الله ﷺ: «لِلّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعونَ اسْماً مَنْ حَفِظَها دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ». وفي رِوَايَةٍ «مَنْ أَحْصَاهَا»[1].

أفكر:

تضمنت سورة الإخلاص أنواع التوحيد كلّها.

لوازم توحيد الأسماء والصفات:

يستلزم توحيد الأسماء والصفات الأمور الآتية:

- **أولاً**: تنزيه الله عَزّ وجلّ عن مشابهة الخلق في أسمائه وصفاته؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١؛ فتوحيد الله في أسمائه، وصفاته يستلزم من المؤمن أن ينزّهه عن كلّ عيب، ونقص يعتري الخلق.
- **ثانياً**: الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنّة، من غير تحريف ولا تبديل ولا تكييف ولا نقص أو زيادة؛ فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا يسمّى إلا بما سمّى به نفسه أو سمّاه به رسوله؛ لأنّ الله أعلم بنفسه وصفاته وأسمائه.
- **ثالثاً**: دعاءُ الله بها، وهذا يشمل الثناء على الله، والطلب منه.

نشاط:

أذكر آية من القرآن الكريم اشتملت على أسماء لله تعالى.

١ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله، (ج ٨، ص ٦٣) ومعنى حفظها؛ أي أحصاها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدّق بمعانيها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الناس جميعاً أقروا بتوحيد الربوبيّة .

ب ( ) الإقرار بتوحيد الربوبيّة يقتضي عبادة الله وحده .

جـ ( ) معنى قوله تعالى في الآية : ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ؛ أيّ أشركوا معه غيره في العبادة .

د ( ) الجزاء، والثواب يترتبان على توحيد الألوهيّة .

هـ ( ) دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جائز .

و ( ) يقتصر على الكتاب والسنّة في إثبات الأسماء والصفات .

٢ أ أعرّف : توحيد الربوبيّة، توحيد الألوهية .

ب أستدلّ بآية من القرآن الكريم لكلّ مما يأتي :

أ توحيد الربوبية .

ب توحيد الألوهية .

جـ الاحتكام إلى شرع الله تعالى من مستلزمات توحيد الألوهيّة .

٣ أعلل : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

٤ توحيد الأسماء والصفات يستلزم أمرين، أبيّنهما .

الدرس

١٠

أنواع الضلال (١)

الضلال: هو الانحراف عن الطريق المستقيم الذي شرعه الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٦-٧ وهو من أخطر ما يحيق بالإنسان في هذه الحياة.

والضلال له أنواع كثيرة، من أخطرها الكفر والنفاق والإلحاد والشرك، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: الكفر:

- **الكفر، لغة**: الستر، والتغطية.
- **واصطلاحاً**: عدم الإيمان سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أم لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم به.

أنواع الكفر:

١ **الكفر الاعتقاديّ (الحقيقيّ)**: وهو كلّ ما يُنقض الإيمان قولاً وعملاً، ويؤدي إلى إنكار ما عُلِم من الدين بالضرورة؛ كإنكار فرضية الصلاة، ونحو ذلك، وهذا الكفر يُخرج من الملّة، ويحرم من مغفرة الله ورضوانه، ويوجب الخلود في النار؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٨.

٢ **الكفر العمليّ (المجازيّ)**: هذا النوع من الكفر لا يُخرج من الملّة، مثل: مَنْ يرتكب الكبائر والمعاصي ولا يتوب عنها، ودلّ عليه ﷺ بقوله: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[١]، وقوله ﷺ «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**».[٢]

ثانياً: النفاق:

- **النفاق، لغةً**: مأخوذ من النفق في الأرض وهو الذي يستتر فيه، وسمي النفاق بذلك؛ لأنّ المنافق يستر كفره.
- **والنفاق بمفهومه العام**: إظهار المرء خلاف ما يبطن.
- **أما مفهومه الشرعي الخاص**: هو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر.

---

١ رواه البخاريّ في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ومسلم في الإيمان، باب قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

٢ رواه البخاريّ، كتاب العلم، باب الانصات للعلماء.

أنواع النفاق:

- **النفاق الاعتقاديّ**: وهو الذي يُظهر صاحبه الإيمان، ويخفي الكفر؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٨، وقد وصفهم الله -سبحانه- بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٤٢-١٤٣، وهذا النوع من النفاق يُخلّد صاحبه في النار؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ النساء: ١٤٥.

نشاط:

أرجع إلى المكتبة، وأكتب في دفتري عن حركة النفاق: متى بدأت؟ وما أسبابها؟

- **النفاق العمليّ**: وهو من المعاصي التي يستحقّ صاحبها العذاب بقدر جريمته، ولكنه لا يُخرج من الملّة، مثل: ما أشار إليهم الحديث الشريف: (**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**)[1] من حديث أبي هريرة، وفي حديث آخر: (**إذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر**) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وقال الله تعالى في حقّ المنافقين: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ البقرة: ١٦.

ثالثاً: الإلحاد:

- **الإلحاد، لغة**: من لَحَدَ، بمعنى: مالَ، وزاغَ، وحادَ عن طريق، أو شيء ما، ويأتي بمعنى: المماراة والمجادلة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ فصلت: ٤٠؛ أيّ يمارون ويجادلون في صحة آيات الله تعالى، وصدقها.
- **الإلحاد في الاصطلاح**: هو الميل عن الإسلام والطعن فيه، واعتناق أفكار تنفي وجود الله تعالى، وتنفي أن يكون الكون والإنسان من خلق الله، وتدّعي أنّ المادة أبدية ليس لها بداية ولا نهاية.

ولا سند للإلحاد، فلم يثبت من ناحية العقل، ولا من ناحية العلم أيّ دليل ينفي وجود الله، وكلّ ما ذكره الملحدون أوهام لا تستند إلى منطق سليم ولا علم مكين، وظاهرة الإلحاد ليست من مبتكرات هذا

١ رواه البخاريّ في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق. ومسلم في الإيمان، بيان خصال المنافق.

العصر، وإنّما هي قديمة عُرف أصحابها **بالدهريين**، وقد قاومها الأنبياء عبر الأجيال، والعصور؛ قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية: ٢٤.

وفي العصر الحديث ظهر الإلحاد على شكل مذاهب فلسفيّة، أسسها فلاسفة غربيون؛ كالشيوعيّة، والوجوديّة، وغيرهما. علماً أنّ العصر الحالي الذي بلغ فيه العلم شأواً لم يصل إليه من قبل، ظهر فيه علماء أعلنوا إيمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلميّة، ومن أمثلة هؤلاء: العالم الفلكيّ الإنجليزيّ (هرتشل)، الذي قال: «كلما اتسع نطاق العلم، ازدادت البراهين الدافعة القوية على وجود خالق أزليّ لا حدّ لقدرته ولا نهاية لوجوده».

وينطبق على الملحدين قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ محمد: ١٢.

■ مخاطر الإلحاد:

وللإلحاد مخاطر كبيرة على الفرد والمجتمع، منها: فقدان القيم والمُثُل العليا، وغياب العدل، وعدم الشعور بالمسؤولية لدى الفرد، وانعدام الضوابط والموازين من حياة الفرد والمجتمعات، وانتشار الفاحشة والجرائم، وانتهاك الحرمات وتفكّك الأسر، وانهيار المجتمعات وفسادها.

التقويم

١ أعرّف الإلحاد لغة، واصطلاحاً.

٢ أستدلّ بآية أو حديث على كلّ من: النفاق الاعتقاديّ، والنفاق العمليّ.

٣ أبيّن مخاطر الإلحاد على الفرد والمجتمع.

٤ أفرّق بين الكفر الحقيقيّ والكفر المجازيّ، مع التمثيل.

٥ أعلّل العبارة الآتية: (لا سند للإلحاد).

الدرس

١١

أنواع الضلال (٢)

الشرك:

عرفت فيما سبق أنّ من سبل الضلال: الكفر والنفاق والإلحاد، وبقي نوع واحد منها؛ ألا، وهو: الشرك، وقد جاء الإسلام للقضاء عليه، وترسيخ عقيدة التوحيد في النفوس.

فما الشرك؟، وما أنواعه؟، وما مظاهره؟

- **الشرك: لغة**: من الشريك، واشتركا، وتشاركا: شارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه أو عبادته.
- **اصطلاحاً**: كلّ ما ناقضَ التوحيد أو قدح فيه.

أنواع الشِرْك:

ينقسم الشرك إلى نوعين، هما:

أولاً: الشرك الأكبر (الجليّ):

وهو أن يجعل العبد مع الله إلها آخر يساويه به أو يجعله شريكاً له أو يتخذه ندّاً[١] لله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٢، وعندما سئل النبي ﷺ عن أيّ الذنب أعظم؟، قال: «**أن تجعل لله ندّاً، وهو خَلَقَكَ**»[٢].

حكمه: الشرك الأكبر ينقل صاحبه إلى الكفر.

من مظاهر الشرك:

الشرك في العبادة:

فالعبادة لا تكون إلا لله -وحده-، وصرْف أيّ شكل من أشكالها لغير الله؛ كالركوع أو السجود أو الذبح أو النذر يُعَدُّ شركاً، وهو ما كان عليه العرب في الجاهلية؛ إذ كانوا يعبدون الأصنام، يتقربون بها إلى

---

١ الند: المثل، والنظير.

٢ متفق عليه؛ ومسلم، في كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده؛ والبخاريّ، كتاب التفسير - تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ الزمر: ٣ فبيّن أنّ العبادة لا تكون إلا لله –وحده–؛ فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣.

■ السحر:

- **السحر في اللغة**: الصرف؛ لأنّ الساحر يصرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسمي سحراً؛ لأنّه يتعلق بأمور خفيّة لا تُدرَك بالأبصار.
- **واصطلاحاً**: هو ألفاظ، ورموز وعُقَد[1] وطلاسم[2] وكلام كفريّ، يتكلم به الساحر، يؤثر في المسحور؛ قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ الفلق: ٤، وحقيقة السحر أنّه لا يكون إلا في الشرك بالله؛ فالساحر يتقرّب من الجنّ والشياطين بالطاعة والعبادة وعمل المكفّرات بجميع صورها، كي يعينوه على ما يفعله.

■ حكمه:

يَحرُم تعلم السحر أو العمل به؛ لأنّ السحر لا يتمّ إلا بألفاظ كفر، وشرك بالله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٠٢، **وللسحر ضروب كثيرة، منها:**

١ **التولة**: وهي ما يعمله السحرة من أعمال يزعمون أنّها تحبب المرأة إلى زوجها أو الزوج إلى امرأته، وإنّما كان ذلك من الشرك؛ لاعتقادهم أنّها تؤثر، وأنّها تجلب نفعاً أو تدفع ضرّاً؛ قال ﷺ: **(إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك)**[3].
والمقصود بالرقى في هذا الحديث، هي الرقى التي تتضمن ألفاظاً شركيّة.

أتعلّم:
لا يدخل في السحر ما يقوم به بعض الدجّالين من إظهار بعض الأمور على غير حقيقتها بوسائل خادعة؛ كخفة اليد، أو ما شابهها؛ لإدخال الوهم على الناس.

٢ **الرقى**: التعاويذ، و مفردها رقية، وهي العوذة. **والرقية**: هي أدعية، وألفاظ يقصد منها الاستعانة والاستعاذة، بقصد دفع الضرّ وجلب المنفعة. **وهي نوعان:**

١ العقد: أن يأخذ خيطاً؛ فيعقد عليه عقدة، ويتكلم عليه بالسحر، وفائدة العقدة بقاء السحر ما دامت معقودة.
٢ الطلاسم: رموز، وكتابات قد تكون بحروف متقطعة أحياناً، فيها استعانة بالجنّ والشياطين بألفاظ مشتملة على الكفر.
٣ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم.

- **الرقى الشرعيّة**: وهي كلّ رقية اشتملت على أدعية مأثورة، أو آيات من القرآن الكريم، أو ألفاظ مشروعة، فيها استعانة بالله تعالى في دفع الضرّ، أو جلب النفع.
- **الرقى الشركيّة**: وهي كلّ رقية اشتملت على كلام وألفاظ تتضمن الكفر أو الشرك أو استعانة بالشياطين.

٣ **الكهانة والعِرافة والتنجيم**: **فالكهانة**: ادّعاء معرفة الغيب بأيّ وجه كان. **والعرافة**: ادّعاء معرفة علم ما سبق؛ كأن يدّعي معرفة السارق، أو مكان السرقة. **والتنجيم**: مأخوذ من النجم، والمراد به الاستدلال بالأحوال الفلكيّة على الحوادث الأرضية، فالمنجم يربط ما يقع في الأرض بالنجوم وحركاتها وطلوعها وغروبها واقترانها وتفرّقها؛ قال ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[١].

أفكّر:

ليس كلّ علم ارتبط بالفلك يُعَدّ من السحر.

■ صور الكهانة:

ويلحق بصور الكهانة: الخطّ في الأرض، وقراءة الكفّ أو الفنجان، ومنها البروج، وغيرها من الطرق التي يُدّعى فيها معرفة الغيب، والتي لا تصدر إلا من مُدَّع كذّاب؛ لأنّ الغيب لا يعلمه إلا الله وحده؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥، وكلّ مَنْ يدّعي الغيب بأيّة صورة كانت يعتبر خارجاً من الملّة.

■ حكم إتيان الكهّان والمنجمين والعرّافين:

يحرم إتيان الكُهّان والمنجمين والعرافين، ويعتبر ذلك من أكبر الكبائر؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ أتى عرّافاً، فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**».[٢]

١ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في النجوم. ومعنى قوله اقتبس: تعلم، وقوله شعبة: قطعة، وقوله زاد ما زاد؛ أيّ كلما زاد من علم النجوم زاد له في الإثم.

٢ رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهّان.

ثانياً: الشرك الأصغر (الخفيّ):

هو كلّ معصية قد تكون وسيلة أو سبباً يؤدي إلى الشرك الأكبر؛ فالشرك الأصغر من مظانّ الانحدار إلى الشرك الأكبر، ومن هنا جاء تحريم كلّ صوره ومظاهره، إلا أنّ صاحبه لا يُحكَم عليه بالشرك المُخرِج من الملّة، إلا إذا صدر منه ذلك عن اعتقاد.

ومن مظاهر الشرك الأصغر:

■ الرياء:

وهو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس له؛ فيحمدوه عليها؛ قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ النساء: ١٤٢، وقال ﷺ: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟، قال: الرياء، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا، هل تجدون عندهم جزاء**»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركَه**»[2].

■ الحلف بغير الله تعالى:

كأن يحلف المرء بأبيه أو أمّه أو الأمانة أو الشرف أو الكعبة أو بالنبيّ، وهذا كلّه حرام؛ لقوله ﷺ: «**ألا إنّ الله -عَزّ وجلّ- ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، مَنْ كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت**»[3]، ومن حلف بغير الله فقد وقع في الشرك؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك**»[4]، وهو من الشرك الأصغر؛ لأنّ الحالف إنّما أشرك في لفظ القَسَم لا غير، ولم يقصد تعظيم المحلوف به، أمّا إذا كان الحالف يقصد تعظيم المحلوف به؛ كتعظيمه لله، فهو شرك أكبر مُخْرِجٌ من الملّة.

■ التمائم:

- **لغة**: مفردها تميمة، وهي خرزة كانت تعلق على الأطفال، يُتقون بها من العين ونحوها.
- **اصطلاحاً**: كلّ ما يُعلّق على المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاويذ؛ لدفع البلاء أو

---

١ رواه أحمد في مسنده، ج٣٩٥، ص٤٣، حديث رقم ٢٣٦٣٨٦.
٢ رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب مَنْ أشرك في عمله غير الله.
٣ متفق عليه؛ مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى؛ والبخاريّ، كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم.
٤ رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء.

رفعه، وكل ما يعلقه الناس؛ كالخرزة الزرقاء أو الكفّ أو الحذاء وما شابه ذلك يُعَدُّ من التمائم، وهي محرّمة، فإن اعتقد متخذها أنّها تنفع بذاتها من دون الله، فهذا من الشرك الأكبر؛ قال ﷺ: «**مَنْ علّق تميمة فقد أشرك**»[1]. ويلحق بالتمائم الحُجُب والرقى التي يكتبها المشعوذون، إذ يجعلونها في طلاسم لا يُفهَم معناها، غالبها شرك واستعانة بالشياطين، وهذا من الشرك الأكبر؛ لاشتماله على الكفر.

نشاط:

أرجع إلى كتاب في العقيدة الإسلاميّة، وأستخرج منه صوراً أخرى من صور الشرك الأصغر.

■ الطِيَرة:

لغة: التشاؤم بالشيء، وأصل ذلك: أنّ العرب في الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو قضاء حاجة من حوائجه يعتمد على الطير، فإن طار يمنة تيمّن به، وإن طار يسرة تشاءم به، ورجع؛ فأبطل الإسلام هذا الاعتقاد، مبيّناً أن لا علاقة للطير في دفع المضار أو جلب المنافع؛ لأن النفع والضرّ بيد الله وحده؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١.

والتطيُّر من الشرك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**الطِيَرة شرك، الطِيَرة شرك، الطِيَرة شرك**»، ثلاثاً[2]، والتطيُّر عامٌّ لا يختص بالطير، فقد يتطيّر الإنسان من شيء يراه أو يسمعه، كأن يتطيّر من إنسان أو حيوان أو حادث يراه أو من كلمة يسمعها، فإن استدلّ من ذلك على أنّه سيفشل أو سيصيبه مكروه، ثمّ رجع فهو التطيُّر الذي نهى عنه ﷺ فقال: «**من ردّته الطِيَرة من حاجة، فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهمّ لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[3].

١ رواه أحمد في مسنده، ج٢٨، ص ٦٣٧، حديث رقم ١٧٤٢٢.
٢ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب: في الطِيَرة.
٣ رواه أحمد في مسنده، ج ١١، ص٦٢٣، حديث رقم ٧٠٤٥.

■ **الفرق بين الطيرة والفأل:**

إذا كانت الطيرة من التشاؤم بالشيء وهو أمر منهيّ عنه؛ لأنّه سوء ظَنّ بالله تعالى، فإنّ التفاؤل-كأن يتفاءل المرء بشيء يسمعه مثلاً- هو أمر ممدوح شرعاً؛ لأنّه من حُسن الظن بالله تعالى، ولذلك قال ﷺ: «**لا طِيَرة، وخيرها الفأل، قيل: يا رسول الله!، وما الفأل؟، قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[1]، فإذا سمع المريض كلمة معافى، أو فاقد الشيء كلمة واجد مثلاً، تفاءل المريض بأنّه سيتعافى، وفاقد الشيء بأنّه سيجده، فإنّ هذا التفاؤل ليس دليلاً على وقوع الشيء، كما يفعله المتطيّر، ولكنه رجاء الخير من الله تعالى.

هذه بعض صور الشرك الأكبر المُخرِج من الملّة، وبعض من صور الشرك الأصغر، التي قد تقود إلى الشرك الأكبر حتى نحذر منها ونبيّنها للناس ونحذر من الوقوع فيها، وخاصة أنّنا نشاهد الكثير من صور الشرك الأصغر في مجتمعاتنا، نتيجة للجهل الذي عليه الكثير من الناس بأحكام دينهم.

١ متفق عليه؛ ومسلم، كتاب السلام، باب الطِيَرة، والفأل، وما يكون فيه الشؤم؛ والبخاريّ: كتاب الطب- باب الطِيَرة وباب الفأل.

التقويم

٤ أعرّف الآتية :

■ الشرك الأكبر ■ السحر ■ التولة ■ الطِيرَة ■ التمائم ■ الرقى .

٥ أذكر فرقاً واحداً بين كلّ ممّا يأتي :

أ الشرك الأكبر والشرك الأصغر .

ب الرقية الشرعيّة والرقية الشركيّة .

جـ الطيرة والفأل .

٦ أبيّن الحكم الشرعيّ فيما يأتي ، مع الدليل :

أ الحلف بالأمانة أو الشرف .

ب تحسين الصلاة أمام الناس .

جـ قراءة الكفّ .

د تعليق حذاء على البيوت أو السيارات .

هـ إتيان الكُهّان أو العرّافين أو المنجمين .

٧ أبيّن المعنى المستفاد من النصوص الشرعيّة الآتية :

أ قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ .

ب قال ﷺ : «**قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركَه**» .

٨ أعلّل ما يأتي :

أ يحرم تعلُّم السحر أو العمل به .

ب نهى الإسلام عن التطيُّر .

الوحـــدة

٣

الإيمان بالملائكة

الدرس
١٢

الإيمان بالملائكة: الأدلة على وجودهم وصفاتهم

قسّم القرآن الكريم العالم بالنسبة للمخلوقات إلى قسمين اثنين، هما:

- عالم الغيب.
- عالم الشهادة.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحشر: ٢٢،

فالغيب: كلّ أمر غائب عن مجال إدراكنا الحسي حسب العادة. **والشهادة**: كلّ أمر نستطيع أن نتوصل إليه بالوسائل الحسية حسب العادة.

والأمور الغيبية لا تستطيع حواسّ المخلوقات، ولا مداركها إدراكها، وقد تفرد الله بعلمها، واستأثر بها لنفسه؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل: ٦٥.

ومن أمثلة الغيب: الملائكة والجنّ والشياطين وأشراط الساعة، ونعيم القبر وعذابه، والجنّة والنار...، ولا سبيل لمعرفة شيء من الغيبيات إلا بالوحي، سواء أكان بقرآن أم بسنّة صحيحة.

والإيمان بالغيب مما يتميز به المتقون الذين لا يتوقفون على التصديق بالمشاهد المحسوسة؛ قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ البقرة: ١-٣.

التعريف بالملائكة والإيمان بهم:

الملائكة جمع مَلَك، وأصله: آلَكَ أرسل، ومنه اشتق الملائك؛ لأنهم رُسُل الله إلى أنبيائه، وعالم الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجنّ، وهم نوع من مخلوقات الله تعالى خلقهم من نور، يعبدون الله حق العبادة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويقومون بما أمرهم الله تعالى حق قيام.

أدلة وجود الملائكة وحكم الإيمان بهم:

وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعيّ من القرآن الكريم والسنّة الصحيحة؛ فقد ورد في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ٢٨٥.

وفي الحديث المشهور عن عمر ﷺ، قال رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه».[1]

والإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، ولا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله تعالى، وفي سنّة رسوله ﷺ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

ومن هنا فإنّ إنكار وجود الملائكة يُعَدُّ كفراً بإجماع المسلمين، وبما نصّ عليه القرآن العظيم؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ النساء: ١٣٦.

■ مادة خلقهم:

لا نستطيع أن نعرف حقيقة الملائكة إلا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، فقد جاءت النصوص تحدد مادة خلقهم، وتبين صفاتهم؛ فقد صحّ عن عائشة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار وخُلق آدم مما وُصف لكم**»[2].

ولمّا كانت الملائكة أجساماً نورانية لطيفة، فإنّ العباد لا يستطيعون رؤيتهم، خاصة أنّ الله لم يعطِ أبصارنا القدرة على رؤية هذا النوع من المخلوقات.

■ صفات الملائكة:

جاء وصف الملائكة في القرآن والسنّة، وهذه بعض صفاتهم الخَلقية والخُلقية:

■ صفاتهم الخَلقية:

- **للملائكة أجنحة**: فمنهم من له جناحان ومنهم مَنْ له ثلاثة، ومنهم من له أربعة أو أكثر من ذلك، قال تعالى في بيان ذلك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١.
- **لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة**: وقد أنكر الله على الذين وصفوهم بالأنوثة؛ إذ قال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ الزخرف: ١٩.
- **لا يأكلون ولا يشربون**: وقد أخبر الله تعالى أنّ الملائكة أتوا إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، فقدّم لهم طعاماً، فلم تمتد أيديهم إليه، فأوجس منهم خيفة، فكشفوا له عن حقيقتهم، فزال خوفه؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾

١ مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله.
٢ مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة.

فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ الذاريات: ٢٤ - ٢٧ .

- **قادرون على التمثل والتشكّل بالأشكال الجسمانية**: فقد ثبت أنّ جبريل كان يأتي إلى مجلس رسول الله ﷺ تارة على صورة إنسان معروف، وتارة على صورة إنسان غير معروف.
- **لا يملّون ولا يتعبون**: إنّ الملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته، وتنفيذ أوامره بلا كلل ولا ملل؛ قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٠؛ أي لا يضعفون.
- **قدرتهم وعِظم خلقهم**: يوصف الملائكة بالخَلْق العظيم فقد جاء وصفهم في كتاب الله تعالى بأنّهم غلاظ شداد؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦، وقد ثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ رأى جبريل على صورته الملائكيّة العظيمة الخِلْقة مرتين؛ فقال ﷺ: «**رأيته منهبطاً من السماء، سداً عِظَم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**»[1].

■ صفاتهم الخُلُقية

- **كرام برررة**: قال تعالى: ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾ عبس: ١٥- ١٦؛ أي بأيدي الملائكة، وهؤلاء هم سفراء الله إلى رُسُله وأنبيائه، وهم كرام بررة؛ أي خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارّة طاهرة كاملة.
- **طاعتهم لله وامتثالهم لأوامره**: وقد وصفهم الله تعالى بأنّهم لا يستكبرون عن عبادته، ولا يتعبون فيها، وأنهم يسبحون ربهم دائماً من غير انقطاع؛ قال تعالى: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ الأنبياء: ١٩ - ٢٠.
- **استحياء الملائكة**: من أخلاق الملائكة التي أخبر بها النبي ﷺ الحياء؛ قال رسول الله ﷺ في وصف عثمان رضي الله عنه: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[2].

١ مسلم، كتاب الإيمان، معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾.
٢ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الناس جميعاً أقروا بتوحيد الربوبيّة .

ب ( ) للملائكة وظائف وأعمال أوكلها الله لهم .

جـ ( ) الملائكة مفطورون على الطاعة والعبادة .

د ( ) الحياء صفة من صفات الملائكة .

هـ ( ) خُلقت الملائكة من مارج من نار .

٢ أذكر ثلاثاً من صفات الملائكة الخَلقية .

٣ أذكر دليلاً من القرآن الكريم، وآخر من السنّة المشرّفة على وجود الملائكة .

٤ أبيّن حكم مُنكِر وجود الملائكة، مع الدليل .

٥ أعلّل : يجب الإيمان بالمغيبات، كما وردت في القرآن والسنّة، دون زيادة أو نقصان .

الدرس
١٣

من أعمال الملائكة وأثر الإيمان بهم

تحدثنا في الدرس السابق عن حقيقة الملائكة وأوصافهم، ويتركز الحديث في هذا الدرس حول الأعمال الموكلة إليهم، والآثار المترتبة على الإيمان بهم.

أعمال الملائكة:

أوكل الله تعالى إلى الملائكة القيام بأعمال عديدة منها:

- **حمل العرش**: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ غافر: ٧.
- **النزول بالوحي**: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩٣-١٩٤، والروح الأمين هو جبريل عليه السلام، فهو الذي نزل بالوحي على جميع الأنبياء والرُسُل.
- **خَزَنة الجنّة والنار**: سخر الله سبحانه وتعالى ملائكة للجنة وملائكة للنار، عرّفهم بالخَزَنة؛ ومهمة خَزَنة الجنّة الترحيب بأهل الجنّة وإكرامهم؛ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ الزمر: ٣٧، وأمّا خَزَنة النار، فرئيسهم (مالك)؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ الزخرف: ٧٧، ومن مهامهم توبيخ أهل النار وتأنيبهم؛ قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ الملك: ٨.
- **كتابة الأعمال (الحسنات والسيئات)**: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ الانفطار: ١٠-١٢.
- **حفظ الإنسان من كل شرّ ما عدا الذي قدر عليه**: أخبر الله تعالى أنّ للإنسان ملائكة يتناوبون حفظه من بين يديه ومن خلفه؛ فقال عزّ وجلّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ الرعد: ١١.
- **قبض الأرواح**: قال تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ السجدة: ١١.
- **الاستغفار للمؤمنين في الدنيا**: يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ غافر: ٧.

- **تبشير المؤمنين بالجنّة عند الموت:** يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت: ٣٠.
- **الشفاعة لبعض المؤمنين يوم القيامة:** يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء: ٢٨.
- **تثبيت المؤمنين في مواجهة الأعداء في القتال:** قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال: ١٢.
- **تدبير أحوال الكون:** فمنهم مَنْ يرسل الرياح ويسوق السحاب، ومنهم مَنْ يوكل له إنزال المطر؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ المرسلات: ١ - ٥.

نشاط:

أرجع إلى كتاب من كتب التفسير، وأكتب في دفتري معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات.

أثر الإيمان بالملائكة في حياة المؤمن:

١ الإيمان بالملائكة على الصورة التي بيّنتها النصوص الشرعيّة يجنب المؤمن الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها مَنْ لا يؤمنون بالغيب.

٢ الاستقامة على أمر الله عزّ وجلّ، فإنّ مَنْ يؤمن برقابة الملائكة لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يفعله ويتكلم به وكتابتهم له، فإنه يتجنب الوقوع في المعاصي في السر والعلن.

٣ الصبر وعدم اليأس، والشعور بالأنس والطمأنينة، وأنّه ليس وحده في الطريق يواجه صدود الناس وإعراضهم عن الإيمان، فهذه جنود الله معه تعبد الله كما يعبد، وتشدّ من أزره وتَذْكُره بالخير عند الله.

٤ الشجاعة والإقدام في مواجهة العدو، فالله مع كلّ مجاهد لا يتخلى عنه، وهو يؤيده بجنود من عنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ومعارك المسلمين في بدر والخندق شاهدة على ذلك.

٥ الحرص على طلب العلم وحضور مجالسه؛ قال ﷺ: «**مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**».[1]

١ أبو داود: كتاب العلم، باب في الحث على العلم.

أتعلَّمُ:

ليس هناك تعارض بين ما تقوم به الملائكة من دور في حفظ هذا الكون، ووجود قوانين وسنن كونية تضبط هذا الوجود؛ فالقوانين والسنن الكونية هي من مخلوقات الله، والملائكة موكلة برعايتها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) من آثار الإيمان بالملائكة حماية المسلم من الوقوع في الخرافات والأوهام.

ب ( ) المَلَك الموكل بالوحي هو إسرافيل عليه السلام.

جـ ( ) المعقبات هم الملائكة الموكلون بحفظ العبد في جميع حالاته.

د ( ) تشجع الملائكة العبد على الطاعة.

٢ أعلل ما يأتي:

أ علمُ العبد بأنّ لله جنوداً من الملائكة، يدفعه إلى الصبر في ساحات الجهاد في سبيل الله.

ب الإيمان بالملائكة يحفظ العبد من الوقوع في الخرافات.

٣ أكتب الآية التي ذكرت اسم خازن النار.

٤ أبيّن علاقة الملائكة بالكون.

٥ أبيّن أثر الإيمان بالملائكة على المؤمن.

الدرس
١٤

علاقة الجنّ بالملائكة

عالَمُ الجنّ هو واحد من عالَم الغيب الذي مرّ بيانه في الدرس السابق، والجنّ أو الجانّ هم أجسام عاقلة خفية، تغلب عليها النارية والهوائية. واحده جِنيّ، والأنثى جنيّة، ويطلق على الإنس والجنّ مصطلح (الثقلين).

■ أصل خلق الجنّ:

لمّا كان هذا الخلق ضمن دائرة الغيب، فلا سبيل إلى معرفة شيء عنهم إلا بالخبر اليقينيّ، وقد ورد في مادة خلقهم قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ الرحمن: ١٥؛ فالمارج: هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ الحجر: ٢٧؛ فنار السَموم هي النار المرتفعة الحرارة التي تنفذ حرارتها إلى الأجسام.

■ دليل الإيمان بالجنّ:

لقد ثبت وجود الجنّ بالدليل القطعيّ الذي لا احتمال فيه ولا شكّ، بنصوص من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة.

فقد أثبت القرآن الكريم وجود الجنّ في أكثر من آية كريمة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، أمّا نصوص السنّة النبويّة الشريفة فكثيرة، منها: «**إنّ عِفريتاً[1] من الجنّ تَفَلّت البارحة؛ ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه، فذكرت دعوة أخي سليمان: ربِّ اغفر لي، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فرددته خاسئاً**»[2].

■ حُكم مُنكِر الجنّ:

لمّا كان وجود هذه المخلوقات قد ثبت بالأدلّة اليقينيّة من الكتاب والسنّة، فإنّ إنكار وجودهم يُخرِج من مِلّة الإسلام، والإيمان بهم إيمانٌ إجماليٌّ، يتوقف على ما وردت به النصوص الشرعية.

---

١ العفريت: كلّ متمرد من إنس أو جانّ.

٢ صحيح البخاريّ: كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد. وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان.

■ صفات الجنّ:

من خلال استعراض النصوص الشرعيّة الواردة بشأن عالم الجنّ، نستطيع التعرف إلى بعض صفاتهم، وأهمها:

١ أنهم خلقوا من النار، كما سبق بيانه في أصل خلق الجنّ، وكما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجانّ من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم**»[1].

٢ **إنّ الغاية من خلقهم عبادة الله تعالى**؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

٣ **الجنّ عالم كُلّف بعبادة الله تعالى كالبشر**؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجنّ: ١٣-١٥.

٤ **الجنّ يتوالدون ويتناسلون ولهم ذرية**؛ قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

■ الفرق بين الملائكة والجنّ:

- إنّ الملائكة مخلوقة من النور، بينما الجنّ مخلوق من النار، كما ورد ذلك في الحديث الشريف السابق.
- إنّ الملائكة مخلوقة للطاعة، ولا استعداد عندهم للمعصية، بينما الجنّ عندهم الاستعداد للطاعة والمعصية.
- إنّ الملائكة ليست مكلفة تكليفاً إرادياً يترتب عليه الثواب والعقاب، بينما الجنّ مكلفون إرادياً، ويترتب عليهم الثواب والعقاب.
- إنّ الملائكة لا ذرية لهم، فلا يتزاوجون ولا يتناسلون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، بينما الجنّ يتزاوجون ويتناسلون، وفيهم الذكر والأنثى.
- إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بينما الجنّ يأكلون ويشربون.

---

١ صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) عالم الجنّ مخلوق قبل عالم الإنس .

ب ( ) دليل الإيمان بالجنّ دليل عقليّ .

جـ ( ) لا عقاب على مَنْ ينكر الجنّ .

د ( ) الغاية من خلق الإنس والجنّ هي العبادة .

٢ أذكر ثلاثة من صفات الجنّ .

٣ أوضّح معنى كل من : المارج، نارِ السَّموم، العفريت .

٤ أفرق بين الملائكة والجنّ، مقتصراً على ثلاثة فروق .

الدرس
١٥

علاقة الإنسان بالجنّ

إنّ عالَم الإنس مختلف عن عالم الجن، وكلّ منهما قائم بذاته لا يحتاج إلى غيره، خلقهما الله سبحانه من أصلين مختلفين، وأودعهما أنظمة وسنناً لقيامهما بما خُلقا من أجله.

ولتوضيح علاقة الإنسان بالجنّ لا بدّ من التأمل في الإنسان من ناحيتين:

الناحية الأولى: خلق الإنسان:

لقد أمر الله -سبحانه وتعالى- الإنسان بالنظر في أصل خلقه، فقال عز وجل: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ الطارق: ٥، **وهذا النظر والتأمل يقود إلى حقائق ثلاث:**

- **الحقيقة الأولى:** الإنسان أكرم المخلوقات باتفاق العلماء؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠.
- **الحقيقة الثانية:** إنّ أصل الإنسان من تراب، وهذا ما دلّت عليه النصوص الصريحة في كتاب الله؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ الروم: ٢٠.
- **الحقيقة الثالثة:** خُلق الإنسان منذ نشأته الأولى في أحسن تقويم؛ فقال -عز وجل-: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤.

الناحية الثانية: الغاية من خلق الإنسان:

تتجلى الغاية من خلق الإنسان في العبادة لله -عزّ وجلّ-، بكل ما تشمله من أقوال أو أفعال ظاهرة أو باطنة، وهذه الغاية مشتركة بين عالم الإنس وعالم الجنّ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

والقيام بالعبادة يؤدي إلى تحقيق الإنسان خلافته في الأرض؛ قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٣٠.

■ علاقة الإنسان بالجنّ:

من كلّ ما سبق يتبين لنا أنّ الجنّ عالم يعيش بيننا ومن حولنا وعلى أرضنا، وإن كانوا مختلفين عنا في أصل الخلقة، ونظام الحياة، وتربطنا بهم علاقات إيجابية وأخرى سلبية.

■ أمّا العلاقات الإيجابية فأهمها:

- **أولاً**: استماعهم للقرآن الكريم، وتأثرهم بما فيه وصولاً إلى الإيمان؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجنّ: ١ - ٢.
- **ثانياً**: حضورهم مجالس الذكر والعبادة وازدحامهم عليها، وبخاصة زمن الرسول ﷺ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ الجنّ: ١٩.
- **ثالثاً**: دعوتهم أقوامهم إلى الإيمان بالقرآن الكريم والاستجابة لدعوته؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأحقاف: ٢٩ - ٣١.

■ وأمّا العلاقات السلبية:

فتتمثل في جملة مفاهيم خاطئة وخرافات باطلة تعلقت في أذهان البعض، منها:

- **أولاً**: ادعاء علْم الغيب للجن، إذ ينفي الحق سبحانه ذلك عنهم وعن غيرهم إلا من استثناهم الله سبحانه؛ قال عز وجل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجنّ: ٢٦ - ٢٧، وفي حديث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام؛ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ: ١٤.
- **ثانياً**: الاستعاذة بالجنّ وطلب العون منهم، وهذا مخالف لأصول عقيدتنا الإسلامية التي توجب الاستعاذة بالله سبحانه، وبطلان أي فَهْم مغاير؛ قال عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجنّ: ٦.
- **ثالثاً**: اتّباع السحرة لهم في خرافاتهم وأعمالهم الشريرة، اعتقاداً بأنّ للجنّ دوراً في تصريف

الأمور أو تحصيل النفع أو دفع الضُر؛ قال عز وجل: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ البقرة: ١٠٢ .

- **رابعاً**: الخوف من هذه المخلوقات لدرجة الاستسلام لخرافاتهم وأباطيلهم، أو محاولة نسج أشكال مرعبة لهم أو أرواح شريرة تلاحق الإنسان، علماً أنّ خوف الإنسان ينبغي أن ينحصر من الله سبحانه؛ قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٥ .

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) كل آدمي مكرم في نظر الإسلام.

ب ( ) استقر الإنسان في أحسن تقويم بعد سنين من ولادته.

جـ ( ) كان الجنّ يحضرون مجالس الرسول ﷺ لاستماع القرآن.

٢ أكمل العبارات الآتية:

أ الغاية من خلق الإنسان هي ..... .

ب أصل خلق الإنسان من ..... .

جـ يختلف عالم الجنّ عن عالم الإنس من ناحيتين:

- ..... .
- ..... .

٣ العلاقة بين الجنّ والإنس نوعان، أذكرهما.

٤ أذكر ثلاثة من العلاقات السلبية بين الجنّ والإنس.

الوحـــدة

٤

الإيمان بالكتب السماوية

الدرس
١٦

الإيمان بالكتب السماويّة

أنزل الله رُسُله لهداية الناس، وقد أنزل معهم الكتب السماوية؛ لتكون مرجعاً لهم في الحكم بين الناس؛ قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣.

وسنتعرف في هذا الدرس إلى المقصود بالكتب السماويّة، والحكمة من إنزالها، وما اتفقت عليه هذه الكتب وما افترقت فيه، وحكم الإيمان بها.

المقصود بالكتاب:

- **الكتاب: لغة**: مصدر كَتَبَ، والكتاب مفرد، والجمع كتب، والكتاب: اسم لما كُتِب مجموعاً، وضُمّ بعضه إلى بعض، فإذا جمعت الحروف، وألّف بينها كانت كلمات ذات دلالة على معنى معين.
- **والكتب السماويّة**: هي كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رُسُله عليهم السلام؛ ليبلغوه للناس.
- والكتب السماويّة التي أنزلها سبحانه على رُسُله تشمل الصحف، والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظيّ والكتابيّ، وبأيّة لغة كانت.

الحكمة من إنزال الكتب السماويّة:

أُنزِلتِ الكتب السماويّة لحكم كثيرة، منها:

- هداية الناس إلى المنهج الحقّ، وحمايتهم من الزيغ والضلال.
- تأييد الرُسُل، وإثبات صدقهم.
- قطع الحجة على الناس؛ قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٦٥.

ما اشتملت عليه الكتب السماويّة:

اشتملت الكتب السماويّة على الكثير من القضايا، منها:

- **أولاً: العقائد**: فالعقائد ثابتة لا تتغيّر، ولا تتبدّل، وجميع الكتب السماويّة دعت إلى عقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد، ونبذ الشرك والكفر والإلحاد.

- **ثانياً: الإقرار بالعبودية لله وحده**، وأنّه لا معبود بحقّ إلا الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل: ٣٦.
- **ثالثاً: تحقيق العدل**؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾الحديد: ٢٥.
- **رابعاً: الترغيب والترهيب، وبيان جزاء الأعمال**؛ فالثواب للمحسن على إحسانه وطاعته، والعقاب للمسيء على إساءته.
- **خامساً: الحثّ على فعل الخيرات والطاعات، واجتناب الشرور والمنكرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

■ ما افترقت فيه الكتب السماويّة:

ومع أنّ الكتب السماويّة مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، أوحى بها إلى أنبيائه، ورُسُله عليهم السلام؛ إلا أنّها افترقت في بعض ما جاءت به، ومن ذلك:

- **الشرائع**: فكل نبيّ أرسل إلى قومه بشريعة خاصة بهم؛ قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾المائدة: ٤٨.

وقد تختلف الشريعة من نبيّ إلى آخر، إمّا بزيادة عليها أو نسخ لبعض الأحكام فيها؛ كأن تُحِلَّ بعض ما حرم الله أو تُحَرِّمَ بعض ما أحلّ الله؛ فشريعة عيسى عليه السلام تختلف عن شريعة موسى عليه السلام في بعض ما أحلّ الله وحرّم على بني إسرائيل؛ قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾آل عمران: ٥٠، وشريعة محمد ﷺ تختلف عن شرائع الأنبياء السابقين، وسبب هذا الاختلاف أنّ كل نبيّ من الأنبياء السابقين كان يُبعث لقومه خاصة دون غيرهم، فلا بدّ أن تحوي رسالته ما يتناسب وحالهم وزمانَهم.

أتعلّم:

شريعة الإسلام لا تتغير ولا تتبدل؛ لأنها صالحة لكلّ زمان ومكان، وقد جعلها الله تعالى خاتمة الشرائع السماويّة، فلا نبيّ بعد محمد ﷺ.

- **صور العبادات وكيفية أدائها**: فالأنبياء جميعهم دُعوا إلى عبادة الله وحده، إلا أنّ صور هذه العبادة وكيفية أدائها وأوقاتها وبعض التفاصيل المتعلقة بها تختلف من نبيّ لآخر؛ قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾الحج: ٣٤.

- **الخصوص والعموم**: فالكتب السماويّة السابقة أُنزِلت على أقوام معينين؛ لتكون لهم دون غيرهم من الأمم، بينما أنزل القرآن الكريم للناس كافة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ سبا: ٨٢.

■ حكم الإيمان بالكتب السماويّة:

الإيمان بالكتب السماويّة هو الركن الثالث من أركان الإيمان، ولا يصحّ إيمان المرء إلا به، ومَنْ أنكر كتاباً من هذه الكتب، فهو كافر خارج من ملّة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١٣٦، وقوله ﷺ، عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[1].

■ والإيمان بالكتب السماويّة يكون على النحو الآتي:

- **الإيمان الإجماليّ**: وهو الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى أنزل على رُسُله كتباً من السماء، ممّا لم يذكر لنا القرآن أسماءها، أو أسماء مَنْ نزلت عليهم من الرُسُل، وقد ورد ذكرها في القرآن مجملاً؛ قال تعالى: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ ﴾ الشورى: ١٥.
- **الإيمان التفصيليّ**: وهو الاعتقاد الجازم بكلّ كتاب أنزله الله تعالى على رُسُله، وذُكِر اسمه في القرآن الكريم، أو ذُكِر في السنّة النبويّة؛ كصحف إبراهيم عليه السلام والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم، وأنها منزّلة من عند الله تعالى.

التقويم

١ أعرِّف: الكتاب السماوي.

٢ ما الحكمة من إنزال الكتب السماويّة؟

٣ اتفقت الكتب السماويّة على كثير من القضايا، أذكر ثلاثا منها؟

٤ ما حكم الإيمان بالكتب السماويّة، مع الدليل؟

٥ كيف يكون الإيمان بالكتب السماويّة؟

٦ أستدل بآيةمن القرآن الكريم على اختلاف الشرائع في الكتب السماويّة.

٧ أعلل: شريعة الإسلام لا تتغير ولا تتبدل.

---

١ رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

الدرس

١٧

الكتب السماويّة السابقة

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمعرفة الكتب السماويّة السابقة التي أنزلها الله تعالى على رُسُله؛ لأنه الكتاب الوحيد الخالد الذي لم ولن يطاله التحريف والتغيير، فقد تكفّل الله سبحانه بحفظه، وقد بيّن الله سبحانه في القرآن الكريم الكتب التي أنزلها على رُسُله، وأنّ هذه الكتب قد سبق نزولها نزول القرآن الكريم، والواجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب مرتبة حسب نزولها.

ومع أنّ هذه الكتب قد دخلها التحريف والتبديل – كما سنبيّنه في الدروس القادمة –، إلا أنّنا سنتعرّف عليها، ونتبيّن بعضاً ممّا ورد فيها، وعلى مَنْ نزلت.

■ أولاً: صحف إبراهيم عليه السلام:

الصُحُف لغة: جمع صحيفة، وهي التي يكتب فيها، ويراد بها الكتاب.

اصطلاحاً: ما أنزله الله تعالى على سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وقد ذكرت هذه الصحف في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ الأعلى: ١٨ – ١٩.

وممّا اشتملت عليه هذه الصحف:

- بيان حال الإنسان، واستعجاله الخير، وإيثاره العاجلة (الدنيا) على الآجلة (الآخرة).
- الفلاح في الآخرة لمن طهّر نفسه من الرذيلة، وأدى ما عليه من صلاة، وآتى الزكاة، وذكر الله تعالى؛ ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ الأعلى: ١٤–١٩.
- يحاسَب المرء على أعماله في الآخرة، وعليها يترتب الثواب والعقاب، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ، ولا يحمل أحد ذنب غيره؛ ودليله قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ النجم: ٣٦–٤٠.

ثانياً: التوراة:

التوراة: لفظ عبرانيّ معناه: التعاليم، أو الشريعة.

اصطلاحاً: هي الكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام، وتتضمن الصحف والألواح.

وقد ذكرت التوراة في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ آل عمران: ٣-٤.

ثالثاً: الزبور:

الزبور لغة: الكتاب.

اصطلاحاً: هو الكتاب الذي أنزل على سيدنا داود عليه السلام.

ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ النساء: ١٦٣، وممّا ذُكِر في الزبور -كما أخبر القرآن الكريم- أنّ الله تعالى قد قضى بالنصر والتمكين في الأرض لعباده الصالحين؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٥.

رابعاً: الإنجيل:

الإنجيل: لفظ يونانيّ معناه البشرى.

اصطلاحاً: هو الكتاب الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام. وقد ذكر الإنجيل في القرآن في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة: ٤٦.

ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل من أحكام:

لقد بيّن لنا القرآن الكريم جانباً ممّا تناولته التوراة والإنجيل، منها:

- البشارة بمحمد ﷺ، وذكر بعض صفاته وصفات أصحابه؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ الأعراف: ١٥٧.
- الحثّ على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التوبة: ١١١.

نشاط:

أستخلص صفات أتباع محمد ﷺ المذكورة في التوراة والإنجيل من خلال قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩.

هذا بعض ما أخبر به القرآن الكريم ممّا أنزله الله في الكتب السماويّة السابقة، إلا أنّ هذه الكتب التي صدقها القرآن إنما هي الأصول التي أنزلها الله على رُسُله إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام، أمّا الكتب الحاليّة التي يتداولها أهل الكتاب فهي محرّفة.

أتعلم:

كُتُبُ أهل الكتاب (اليهود والنصارى) التي بين أيديهم الآن تتكون من:

- **العهد القديم: وهو الكتاب المقدّس عند اليهود، وهو ثلاثة أقسام:**

أولاً: التوراة: وتحوي خمسة أسفار: سِفر التكوين، وسِفر الخروج، وسِفر اللاويين (الأحبار)، وسِفر العدد، وسِفر التثنية.

ثانياً: أسفار الأنبياء الأولين ورسالات الأنبياء الآخرين: وتتناول الحديث عن تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، ومَنْ حَكَمَ من بعده من القضاة، ومَنْ جاء بعد ذلك من الأنبياء، والسبي البابليّ، وغيره.

ثالثاً: المكتوبات: وتتناول مزامير داود، وهي مجموعة من الأناشيد والترانيم الدينية، وأمثال سليمان: وهو سفر ينسب إلى سليمان، ومنها تاريخ أيوب، وغيرها.

- **العهد الجديد: وينقسم العهد الجديد عند النصارى إلى قسمين:**

أولاً: الأسفار التاريخية: وهي الأناجيل الأربعة المعترف بها عند الكنيسة، وهي: (إنجيل متّى، وإنجيل مَرْقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا)، وقد تمّ اختيارها من بين أكثر من سبعين إنجيلاً، بل أوصلها البعض إلى المئة، بينما لم تعترف الكنيسة بإنجيل برنابا، الذي يثبت أنّ عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله، وينكر ألوهيّته وكونه ابنَ الله، وأنّه لم يصلب بل رُفع إلى السماء، ويبشر برسالة محمد ﷺ بالاسم الصريح.

ثانياً: الأسفار التعليمية: وتشمل اثنتين وعشرين رسالة، كُتِبَتْ جميعها باللغة اليونانية، أكثرها من (بولس)، مع أنّه ليس من تلاميذ المسيح، وكان يهودياً اسمه (شاؤول)، ودخل في النصرانية، وسمّى نفسه (بولس).

ومن المعروف أنّ النصارى يؤمنون بالعهد القديم، كما يؤمنون بالعهد الجديد.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) الكتب السماويّة السابقة التي يتداولها أهل الكتاب (اليهود والنصارى) محرّفة.

ب ( ) التوراة لفظ عبرانيّ معناه البشارة.

جـ ( ) الزبور: هو الكتاب الذي أُنزِل على سليمان عليه السلام.

د ( ) بشّرتِ الكتب السماويّة السابقة ببعثة محمد ﷺ.

٢ أرتّب الكتب السماويّة حسب نزولها؟

٣ أذكر أمرين ممّا اشتملت عليه صحف إبراهيم عليه السلام.

٤ تناولت الكتب السماويّة السابقة الحثّ على الجهاد بالنفس والمال، أذكر دليلَ ذلك؟

٥ أعلّل: القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمعرفة الكتب السماويّة السابقة.

الدرس ١٨

الكتب السماويّة السابقة بين التحريف والثبوت

لم يتكفل الله سبحانه بحفظ الكتب السماويّة السابقة، كما تكفّل بحفظ القرآن الكريم، بل وكّل حفظها إلى الأحبار والرهبان؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ المائدة: ٤٤؛ لذا؛ كانت تلك الكتب عرضة للتحريف والضياع.

أفكّر:

لماذا تعهّد الله بحفظ القرآن الكريم، ولم يوكل حفظه للعلماء، بينما أوكل حفظ الكتب السماويّة السابقة إلى الأحبار والرهبان؟

دخول التحريف إلى الكتب السماوية السابقة:

إنّ التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على موسى عليه السلام قد حُرّفت، ودخل عليها النقص والزيادة والتبديل؛ بسبب ضعف الوازع الدينيّ واتّباع الأهواء، وحبّ الدنيا وشهواتها لدى الأحبار، حتى قال (وِلْ. ديورنت) في كتابه قصة الحضارة: «إنّه لم يبقَ من شريعة موسى إلا الوصايا العشر».

أمّا الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وسلّمه لتلاميذه، وأمرهم بالتبشير به، فإنّ الاضطهاد الذي واكب المسيحيّة في نشأتها من الرومان وبتحريض من اليهود، أدى إلى ضياعه وضياع كثير ممّا نقله الحواريون عن المسيح عليه السلام؛ مما أدى إلى ظهور أناجيل كثيرة.

وعندما دخل (بولس) اليهودي في دعوة المسيح، راح يزعم أنّه الوحيد المؤتمن على المسيحيّة الصحيحة وعلى الإنجيل، وبدأ يُدخل عليها من العقائد الباطلة والفلسفات القديمة بقصد إفسادها.

وممّا ساعد على تحريف الإنجيل، كونه رسالة شفويّة أملاها المسيح على تلاميذه سراً في ظروف الاضطهاد الرومانيّ والدسائس اليهودية.

أدلة التحريف:

الأدلة من القرآن الكريم:

أخبرنا القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب كتابَ ربهم، وكتمانهم لما أنزل الله من البيّنات، وتحريفهم الكلم عن مواضعه؛ فقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ النساء: ٤٦، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

- **الأدلة على التحريف من الكتاب المقدس عندهم:**

يقول كاتب مزمور (٥٦/ ٤-٥): «ماذا يصنع بي البشر! اليوم كلهم يحرفون كلامي»، وجاء في سِفر أشعيا قوله موبخاً اليهود إياهم: «ويل للذين يتعمقون؛ ليكتموا رأيهم عن الربّ، فتصير أعمالهم في الظلمة، ويقولون من يبصرنا؟، يا لتحريفكم!).

نماذج من التحريف في التوراة:

لقد أدخل اليهود على التوراة ألواناً من التحريف: تبديلاً وزيادة ونقصاً وإخفاءً وتأويلاً، وافتروا على الله وعلى أنبيائه، وما من نبيّ من أنبيائهم إلا ألصقوا به سلوكاً لا يليق بشخص عاديّ، فضلاً عن أنه يصدر عن نبيّ معصوم.

- ومن التحريف الذي أدخلوه على التوراة ممّا فيه افتراء على الله تعالى قولهم: «أنّ الله لما رأى فساد الآدميين في الأرض ندم على خلقهم، وقال سأُذهب (الآدميين) الذين خلقتُ على الأرض، والخشخاش وطيور السماء؛ لأني نادم على خلقها جداً»، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

- ومن افتراءاتهم على الله تعالى أيضاً: «أنّه تعب بعد خلق السماوات والأرض وقالوا: إنّ الله استراح في اليوم السابع من خلق السماوات والأرض»؛ فأنزل الله تعالى تكذيبهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ ق: ٣٨؛ أي من تعب.

- ومن تحريفهم وصفهم الله تعالى بالفقر والبخل؛ قال تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ آل عمران: ١٨١، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ المائدة: ٦٤.

- ومن تحريفهم وصفُهم اللهَ تعالى بالغفلة والنوم كما في قولهم في بعض صلواتهم: «انتبه، كم تنام يا ربّ، استيقظ من رقْدتك»؛ فتجرؤوا على رب العالمين؛ كأنهم يخبرونه: أنه قد اختار الخمول لنفسه وأنّه ينام، فكذّبهم الله تعالى بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة: ٢٥٥.

- ومن تحريفهم قدحهم بالأنبياء الذين عصمهم الله تعالى؛ ومن ذلك طعنهم في نبيّ الله لوط: «بأنّه شرب الخمر، حتى سكر، وزنى بابنتيه!»، وقولهم عن هارون: «أنه هو الذي صاغ لهم العجل!».

■ نماذج من التحريف في الإنجيل:

أمّا الإنجيل، فيحوي من التغيير والإضافة الشيء الكثير، ومن أعظم تحريفاتهم:

- ما يتعلق بتأليه المسيح، والزعم بأنّه ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس، وقد ردّ عليهم القرآن مفصلاً زعمهم ومبيناً حقيقة التوحيد؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة: ٣٠، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١١٦.
- ما يتعلق بكتمان بعضهم البشارة بالنبيّ محمد ﷺ؛ التي أخبر الله بها في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الصف: ٦، فجاء في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام: «يأتي من بعدي الفارقليط»، وهذه كلمة يونانية معناها: (كثير الحمد)؛ وهذا مدلول صيغة التفضيل (أحمد)، وقد أبوا أن يترجموها في النسخة العربية، وأبقوها هكذا، حتى تبقى غير مفهومة، ولكيلا يعلم النبيّ الذي يأتي بعد المسيح.

■ الموقف من الكتب السماويّة المحرّفة:

قلنا إنّ تحريفاً كثيراً وقع في كتب اليهود والنصارى، ولا تزال في هذه الكتب بقايا من الوحي، إلا أنّنا لا يمكننا الاهتداء إليها ومعرفتها، فما ورد في هذه الكتب وثبتت صحته لدينا، فهذا نؤمن به ونصدقه، وما علمنا كذبه ومخالفته لما ثبت عندنا، فلا يجوز لنا أن نأخذ به، وأما المسكوت عنه- الذي لا تعرف صحته من كذبه- فلا نؤمن به، وفي ديننا ما يغني عن الرجوع إلى ذلك كله.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) تكفل الله بحفظ الكتب السماويّة كلّها .

ب ( ) كان بولس رجلاً مسيحياً مؤتمناً على تعاليم المسيح .

جـ ( ) أدلة تحريف الإنجيل هي في الإنجيل نفسه .

د ( ) (الفارقليط) كلمة يونانية تعني (كثيرالحمد) ظهرت ترجمتها في النسخة العربية للإنجيل .

٢ ما مصدر عقيدة النصارى في قولهم ببنوة المسيح لله تعالى، مع ذكر الدليل؟

٣ أذكر عاملاً واحداً من عوامل تحريف الإنجيل .

٤ كيف طعن أهل الكتاب بالأنبياء؟

٥ أوضّح الدليل من القرآن الكريم على وقوع التحريف في الكتب السماويّة السابقة .

٦ أدلّل بآية من القرآن الكريم على بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ .

٧ أمثّل بصورة من صور التحريف في التوراة فيها الافتراء على الله تعالى .

الدرس
١٩

القرآن الكريم

مرّ معنا في الدرس السابق الحديث عن الكتب السماويّة التي أنزلها الله على رُسُله، وأنّ القرآن الكريم هو آخر هذه الكتب. ويمر معك في مبحث علوم القرآن الكريم تعريف القرآن وخصائصه، وفي هذا الدرس بيان لأدلة حفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل وحكم الإيمان به.

أدلة حفظ القرآن من التحريف والتبديل:

الأدلة النقليّة، ومنها:

١ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، ومعنى الآية: أنّ الله قد تكفل بحفظ القرآن من أن يزاد فيه، أو ينتقص منه.

٢ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤١-٤٢، ومعناها: أنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع ذو كيد تغييره بكيده وتبديل شيء من معانيه عما هو، ولا إلحاق ما ليس منه فيه.

٣ قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٧، ومعناها: لا مبدل لكلماته؛ أي لا مغيّر لها، ولا مبدل لمعانيها ومقاصدها.

٤ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ الحاقة: ٤٤-٤٧، فالتهديد في هذه الآية جاء في حقّ رسول الله ﷺ، فكيف إذا سعى إلى ذلك غيره؟، ويفهم من هذه الآية: أنّه لا يستطيع أحد من البشر أن يزيد أو ينقص من كتاب الله شيئاً، ومَنْ حاول مثل ذلك فالله له بالمرصاد.

الأدلة العقليّة:

إنّ القرآن الكريم نقل إلينا من لدنه ﷺ بالتواتر، فلا تزال كلماته وأحرفه بعينها محفوظة -إلى يومنا هذا- إلى قيام الساعة، والحفظة للقرآن الكريم في كلّ زمان ومكان لا حصر لهم.

ومن الأدلة العقليّة كذلك، أنّ حفظ القرآن هو حفظ لدعوة الرسول ﷺ، ولرسالته، فتبقى هذه الرسالة خالدة مهما تباعدت الأمكنة أو الأزمنة، خاصة وأنّ دعوته عليه السلام هي دعوة عامّة للناس كافّة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ سبا: ٢٨، فحفظ الله القرآن الكريم؛ ليبقى حجةً لله على الناس، خلافاً للكتب السماويّة الأخرى التي كانت لأقوام معينة، وموقوتة بزمن معين، فدخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان.

حكم الإيمان بالقرآن الكريم:

تأكّدَ لنا حفظ الله -عزّ وجلّ- للقرآن الكريم من كلّ تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقص، ومن أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، فقد نُقلت إلينا آياته بالتواتر القطعيّ الذي لا يترك عذراً لمرتاب، لذلك يجب الإيمان بالقرآن إيماناً مطلقاً، جملةً وتفصيلاً، على أنّه من عند الله تعالى، ونؤمن بكلّ ما جاء فيه، ومَنْ ينكر شيئاً منه فهو كافرٌ خارج من مِلّة الإسلام.

التقويم:

١ أذكر دليلين من الأدلة الشرعيّة على حفظ القرآن من التحريف.

٢ أوضّح الدليل العقليّ على حفظ القرآن الكريم من التحريف؟

٣ أبيّن حكم مَنْ يُنكر آية واحدة من القرآن الكريم؟

٤ أستخلص المعنى المستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴾ الحاقة: ٤٤-٤٧.

الوحـــدة

٥

الإيمان بالأنبياء والرسل

الدرس ٢٠

النبوة والرسالة: مفهومها وأدلتها

إنّ الإيمان بالأنبياء والرُسُل عليهم السلام هو الركن الرابع من أركان الإيمان التي لا يصحّ إيمان المرء إلا بها جميعاً، فهو يأتي بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه، وسنتعرف في هذا الدرس إلى مفهوم النبيّ والرسول، والفرق بين النبوّة والرسالة، وأدلة إثباتهما، وعدد الرُسُل والأنبياء، ومَنْ ذُكِر منهم في القرآن الكريم، وحكم الإيمان بهم جميعاً.

مفهوم النبيّ والرسول:

النبيّ: عبد اصطفاه الله تعالى بالوحي إليه، ولم يؤمر بالتبليغ.

الرسول: نبيّ أوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه.

الفرق بين النبوّة والرسالة:

من خلال التعريف لمعنى النبيّ والرسول، تبيّن لنا أنّهما لفظان متغايران؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ .....﴾ الحج: ٥٢، ففي هذه الآية جاء لفظ (نبيّ) المتضمن معنى النبوّة معطوفاً على لفظ (رسول) المتضمن معنى الرسالة، وهو دليل على التغاير بينهما؛ لأنّ المعطوف غير المعطوف عليه.

فمن السنّة حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عندما علّمه النبيّ ﷺ الدعاء الذي يدعو به إذا جاء مضجعه، وقد ذُكِر فيه: (. . . اللهمَّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت)، فقال:[1] «فرددتها قلت: آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك، قال: لا، ونبيّك الذي أرسلت»[2]، وممّا سبق نتبيّن أنّ هناك فروقاً بين النبوّة والرسالة، **ومن هذه الفروق**:

١ **كلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولاً**: فكلاهما جاءه الخبر (الوحي) من عند الله تعالى، إلا أنّ الرسول أمر بالتبليغ، بينما النبيّ لم يؤمر بالتبليغ، ولكن لم يُنهَ عنه.

---

١ القائل هو الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه.

٢ متفق عليه، واللفظ للبخاري في كتاب الوضوء، باب فضل مَنْ بات على الوضوء. وينظر عند مسلم في كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

٢ **بينهما خصوص وعموم**: فالرسالة أعمّ من النبوّة؛ لأنّ النبوّة جزء من الرسالة، أمّا من حيث المقام، فمقام الرسالة أخص من مقام النبوّة؛ لأنّ عدد الرُسُل أقلّ من عدد الأنبياء، فقد خُصّ بالرسالة القليلُ منهم.

٣ الرسول يأتي بشريعة جديدة (الكتاب السماوي)، بينما النبيّ يطبق شريعة مَنْ سبقه.

نشاط:

أرجع إلى أحد المعاجم اللغويّة، وأستخرج المعنى اللغويّ لكلمتَي النبيّ والرسول.

أدلة إثبات النبوّة والرسالة:

لقد ثبتت النبوّة والرسالة بالأدلّة النقليّة والعقليّة، وسنذكر بعض الأدلّة النقليّة، ثم نفصّل الدليل العقليّ، على النحو الآتي:

أولاً: الأدلّة النقليّة:

بعث الله الأنبياء والرُسُل في كلّ أمّة من الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦، وقد تواترت الأخبار بذلك عند جميع الأمم، ما لا يدعُ مجالاً للشكّ؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: ٢٤، وقد تعاقب إرسال الرُسُل، كل يبعث إلى قومه خاصة، حتى بعث آخر الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ للناس كافة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون: ٤٤، وقال ﷺ: «. . . **وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس كافة** . . .»[1].

ثانياً: الأدلّة العقليّة:

إذا استدل الإنسان بالعقل والفطرة على وجود الله تعالى، وعرف أنّ من مقتضيات الإيمان بالله تعالى إفراده سبحانه بالعبودية، فإنّ من المقتضيات التي ينبغي للعقل أن يسلم بها ضرورة، حاجة البشرية للرسل والرسالات؛ وذلك أنّ الله تعالى لا يترك عباده كي يتعرفوا إليه بالعقل والفطرة وحدهما، لما قد ينشأ عن ذلك من ضلال يقع فيه العقل أو فساد يؤثر في الفطرة؛ فتنحرف عن الحقّ، والعقل يعجز عن معرفة ما يطلب منه من عبادة وكيفية أدائها، وما هو مأمور به وما هو منهي عنه، فكان لا بُدّ من إرسال الرُسُل؛

١ رواه البخاري، كتاب الصلاة، أبواب المساجد/ باب قوله ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً).

ليعرّفوا الناس بربهم وكيفية عبادته، وبما يأمرهم وينهاهم، فتقام عليهم الحجة، وعندها، يجازون على أعمالهم ويحاسبون على تفريطهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥.

ومن الأدلّة العقليّة أيضاً تأييد الله تعالى الرُسُل بالمعجزات الحسّيّة، والمعنوية المقرونة بالتحدي، وفي ذلك أكبر دليل على كونهم مبعوثين من عند الله تعالى لعباده.

وما اتّصف به الأنبياء والمرسلون من صفات؛ كالصدق والأمانة والعصمة والسيرة الحسنة لدليلٌ على صدق دعوتهم.

عدد الأنبياء والرُسُل عليهم السلام:

لا شكّ أنّ الله تعالى قد بعث جمعاً غفيراً من الأنبياء والرُسُل عليهم السلام، فمنهم مَنْ قَصّ سبحانه علينا قصته في القرآن الكريم، ومنهم مَنْ لم يقصص؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ غافر: ٧٨، أمّا الذين ذُكروا في القرآن الكريم فهم خمسة وعشرون نبيّاً ورسولاً، وهم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٣٨ - ٦٨، وذُكر الآخرون في مواضع أخرى؛ قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ هود: ٥٠، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ هود: ٦١، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ هود: ٨٤، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٣٣، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنبياء: ٨٥، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩.

حكم الإيمان بالأنبياء والرُسُل عليهم السلام:

الإيمان بجميع الأنبياء والرُسُل ركن من أركان الإيمان، وقد أوجب الإسلام الإيمان بهم جميعاً دون تفريق، ومَنْ أنكر واحداً منهم فهو كافر خارج من الملّة، فجميعهم جاؤوا بعقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ البقرة: ٢٨٥.

والإيمان بالأنبياء يكون على ضربين:

الأول: **الإيمان التفصيليّ**: وهو الإيمان بجميع الأنبياء والرُسُل عليهم السلام الذين ذُكروا في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وبكلّ ما أخبر عنهم.

الثاني: **الإيمان الإجماليّ**: هو الإيمان بالأنبياء والرُسُل الذين أخبر القرآن عنهم إجمالاً من غير تفصيل؛ قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ غافر: ٨٧.

نشاط:

أذكر الدليل من السنّة النبويّة على أنّ الإيمان بالأنبياء والرُسُل عليهم السلام ركن من أركان الإيمان.

التقويم

١ أعرّف الآتية: النبيّ، الرسول.

٢ أفرّق بين النبوّة والرسالة؟

٣ أبيّن دليلاً عقلياً على إثبات النبوّة والرسالة؟

٤ كم عدد الأنبياء والرُسُل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم؟

٥ أبيّن حكم الإيمان بالأنبياء والرُسُل عليهم السلام؟

٦ أعلّل: وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرُسُل عليهم السلام دون تفريق بينهم.

الدرس

٢١

حاجة الناس إلى الرُسُل

مرّ معنا أنّ الإيمان بالرُسُل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، وأنّ الواجب على كلّ مكلّف الاعتقاد بأنّ الله أرسل رسلاً من البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه، وقاموا بتبليغ ما أمرهم الله به.

ويتلخص الهدف من إرسالهم في أمرين:

الأول: هداية البشريّة إلى الإله الحقّ.

الثاني: هداية البشريّة إلى العبادة الحقّة.

ولقد تكفل الله -سبحانه- للإنسان بالمعرفة والعلم، وزوّده بالعقل والأدوات اللازمة؛ لتحصيلهما كالسمع والبصر؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ٧٨.

ومع ذلك، فإنّ مِن الناس من يضلّ ويطغى؛ فيعطل عقله، وأدوات علمه ومعرفته، ويظنّ في لحظة غفلة أو غرور أنّ بإمكانه الاستغناء عن ربه سبحانه وتعالى؛ قال -عزّ وجلّ-: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ العلق: ٦ - ٧.

وسبب هذا الطغيان هو ظنّ الإنسان إمكانيّة الاستغناء بعقله، ونسيانه لحقائق ثلاثة بخصوص العقل:

الأولى: أنّ العقل موهبة من الله تعالى، وليس كسباً ذاتياً من عند الإنسان.

الثانية: أنّ العقل له طاقة محدودة ومجال للعمل، ولذا لم يكلفه الله سبحانه ما لا يطيق، أو ممّا ليس من اختصاصه؛ كمعرفة الغيب مثلاً.

الثالثة: أنّ الذي يتحكم في حياة الناس -وخاصة اليوم- ليس العقل، وإنّما الأهواء والشهوات، وإلا فأين العقل من الفساد الأخلاقيّ، أو التردّي القيميّ، أو المجاعات التي تنتشر بين بني الإنسان، بينما الأموال تهدر على التسلح؛ لقتل الإنسان بدلاً من إسعاده.

ضلال البشريّة دون الرُسُل:

إنّ البشريّة المنقطعة عن الإيمان بالله ورسالات الأنبياء تعيش حالة من الضلال والتيه، بل وحياة الجاهلية بكلّ معانيها، **وهذا الضلال يتمثل في وجهين:**

الأول: ضلال العقل سواء أكان ذلك في جانب العقيدة والشرك بالله، أم في جانب العبادة؛ كدعوة غير الله أو الاستعانة بغير الله.

والثاني: فساد الفطرة: إذ إنّ الفطرة البشريّة إن تُركت على حالها دون تدخُّل سلبيّ فيها، فإنّها تهدي صاحبها إلى الإيمان بالله تعالى، ولكنّها كثيراً ما تتأثر بالمؤثرات الخارجية فتحرفها عن الصواب، فتتصور الخالق على غير حقيقته، أو تشرك معه آلهة أخرى.

ولهذا، فقد أمرنا الله -سبحانه- بإقامة وجهنا على الدين القيّم؛ فقال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠، إلا أنّ البشريّة قد حرّفت هذه الفطرة أو طمستها، فأيّة فطرة سليمة تقبل بأن يُعبد شخص كفرعون من دون الله سبحانه؟!، وأيّة فطرة سليمة تقبل بأن تكون البقرة إلهاً؟ بل ويصل الأمر إلى تبرُّك الناس بالاستحمام من بولها المقدس؟!، وأيّة فطرة سليمة تقبل بأن يصنع الإنسان إلهه بيديه، ثمّ يعبده، أو يأكله إذا جاع عندما يصنعه من التمر؟!.

حاجة البشريّة إلى الرُسُل:

إذا بلغ الناس هذا المبلغ من التيه والفساد؛ بضلال العقل وفساد الفطرة، فإنّ الحاجة إلى الرسل تكون ملحّة لتصحيح مسار البشريّة، وإعادتها إلى الصواب، **وتتلخص حاجة الناس إلى الرُسُل فيما يأتي:**

١ بيان العقيدة الصحيحة، التي يتجه فيها الإنسان إلى الإقرار بالخالق الرازق وعدم الشرك، أو الكفر به سبحانه.

٢ هداية الناس إلى العبادة الصحيحة، ومَنْ أولى من الخالق الرازق المحيي المميت المدبر أن يتجه الناس إليه بالعبادة.

٣ تنظيم أمور الحياة للإنسان من جميع جوانبها؛ فالخالق -سبحانه- هو الأعلم بخلقه، وما يصلح لدنياهم، وأُخراهم.

٤ نشر القيم والأخلاق الفاضلة في البشريّة، إذ دون ذلك تتحول البشريّة إلى نوع من مجتمعات الغاب.

ولقد مدح الله –سبحانه– رسولنا ﷺ بِخُلُقه؛ فقال –عزّ وجلّ–: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ .

ورحم الله أحمد شوقي عندما قال:

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيتْ فإن هُم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) العقل موهبة من الله سبحانه، وليس كسباً من الإنسان.

ب ( ) الإنسان لن يستغني بعقله عن الرُسُل.

جـ ( ) تفسد الفطرة عندما يتدخل بها الإنسان إيجاباً.

د ( ) الأَوْلى أن توجه العبادة إلى الخالق الرازق.

٢ يتحدد الهدف من إرسال الرُسُل في أمرين، أذكرهما.

٣ حاجة البشريّة إلى الرُسُل تتلخص في أربعة أمور، أعدّدها.

الدرس
٢٢

صفات الأنبياء والرُسُل

شاءت إرادة الله تعالى الحكيم الخبير أن يكون الرُسُل رجالاً؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الكهف: ١١٠؛ ليكونوا أقدر على القيادة والتوجيه لمن يُرسَلون إليهم، ولم يكونوا من الملائكة لاختلاف طبيعة الملائكة عن طبيعة البشر، ولكي يُسهل التأسي بهم، وليكونوا في دعوتهم وأفعالهم، وأخلاقهم حجة على أقوامهم؛ فكانوا الأعظم خُلقاً، والأشرف نسباً، فقد أثنى الله تعالى على رسوله محمد ﷺ؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤. واختار الله الرُسُل من أشرف بني آدم نسباً؛ قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت من خير قرون ابن آدم قرناً، فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**»[1].

أفكّر:

لماذا اصطفى الله الأنبياء والرُسُل من الرجال دون النساء؟

صفات الأنبياء والرُسُل:

وللرسل صفات تُميّزهم، ويفضَّلون بها على غيرهم، ومن أبرز صفاتهم:

أولاً: الفطنة:

ومعنى الفطنة: الفهمُ. ومن متطلباتها: الفهم، والعلم، والحكمة، واليقظة والانتباه، ورجاحة العقل، فمن حمَل رسالة علميّة ومهمّة تربويّة، وقاد سياسة الناس لا بدّ أن يتصف بالفطنة، وتشهد لفطنة الرُسُل آيات كثيرة؛ ففي فطنة نبيّنا محمد ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣، ومنها ما يشهد لفطنة غيره من الأنبياء؛ كإبراهيم عليه السلام مثلاً؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣.

١ البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

ثانياً: العصمة:

تدور معاني العصمة حول الحماية والصون، والمنع من الوقوع في الخطأ، والرُسُل الكرامُ عليهم السلام بعد نبوّتهم وبعد الأمر بالاقتداء بهم معصومون عن المعاصي، وهذا ما يسمى بعصمة الرُسُل، **فالعصمة** بهذا المفهوم: «حفظُ أوامر الله تعالى من مخالفتها، وحفظُ نواهيه من الوقوع فيها».

وقد اتفقت الأمة على أنّ الرُسُل معصومون في تحمّل الرسالة؛ فلا ينسون ممّا أوحاه الله إليهم إلا شيئاً نُسخ، وقد تكفل الله لرسوله محمد ﷺ بأن يقرئه، فلا ينسى شيئاً ممّا أوحاه إليه؛ قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ الأعلى: ٦، وهم معصومون كذلك من الوقوع في الذنوب والقبائح، لا كما يعتقد اليهود والنصارى الذين ينسبون لأنبيائهم الكبائر والفواحش.

وكما أنّ الرُسُل معصومون عن المعاصي الاعتقاديّة والقوليّة والفعليّة والخلقيّة، فهم معصومون عن الكتمان والتحريف والخطأ والغلط، فيما أمرهم الله بتبليغه للناس؛ لأنّهم لو لم يكونوا كذلك، لما كانوا أهلاً للاصطفاء بالرسالة، ولانعدمت الثقة فيما يبلّغون عن ربهم -عزّ وجلّ-، ولـمّا جعلهم الله تعالى أسوة حسنة، وأمر بالاقتداء بهم؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الممتحنة: ٦.

ثالثاً: الصدق:

الصدق صفة واجبة للرسل لا تنفكّ عنهم؛ لأنّها ضمن وظيفتهم ومهمّتهم، وهي دليل اصطفائهم بالرسالة، ولا يُتصور تبليغٌ من غير صدق؛ قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الأنعام: ١١٥، ومن أدلّة صدق الرُسُل دليل المعجزة، ولو كان الرسول كاذباً لم يُجرِ الله على يديه المعجزة؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠٤ - ١٠٨، وقد شهد الله تعالى بصدق الرُسُل فيما بلّغوا، كما نوّه بأنه لا يقرّ رُسُله على الكذب أو الافتراء عليه؛ قال تعالى مخبراً عن نبيّه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٦.

■ رابعاً: الأمانة في التبليغ:

الرُسُل مبلّغون عن ربهم، وقد اصطفاهم الله لهذه المهمة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ المائدة: ٦٧، وبما أنّ الرُسُل مأمورون بالتبليغ عن الله، ومعصومون عن مخالفة أمره وجب علينا أن نعتقد بأنّهم لم يكتموا عن أممهم شيئاً ممّا أُمروا بتبليغه؛ لأنّ الله ما اختارهم لحمل رسالته إلا ليقوموا بتبليغ شرائعه، ولكونهم معصومين عن الوقوع في المعاصي.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) المعجزةُ دليلٌ على صدق النبيّ.

ب ( ) الرُسُل معصومون من النسيان على الإطلاق.

ب ( ) الرُسُل من أشرف الناس نسباً.

٢ أعَرّف: الفطنة، العصمة.

٣ ما متطلبات الفطنة؟

٤ أستدل بآية قرآنية على الفطنة لدى الأنبياء.

٥ أُبرهن على عصمة الرُسُل من الخطأ، والتحريف في التبليغ.

٦ ما دليل صدق الأنبياء في رسالاتهم؟

٧ أعلل ما يأتي:

أ يجب الاعتقاد بأنّ الرُسُل لم يكتموا عن أقوامهم شيئاً ممّا أُمروا بتبليغه.

ب أرسل اللهُ تعالى الرُسُل من البشر.

الدرس
٢٣

ختم النبوّة

مرّ معنا أنّ جميع الرُسُل جاؤوا بعقيدة واحدة، ودعوا إلى عبادة الله وحدة لا شريك له، والناظر في الرسالات السماويّة وما جاءت به من أحكام وشرائع، يرى حكمة الله البالغة في أنّه جعلها تتناسب مع واقع كل أمّة من الأمم من حيث أوضاعها وحاجاتها ونضجها العقليّ وتطورها الحضاريّ، فالأمّة التي انتشر فيها التطفيف بالمكيال والميزان جاء التوجيه خاصّ بذلك، والأمة التي انتشرت فيها الفواحش جاء التوجيه لتخليصها من الفواحش، وهكذا كانت تلك الرسالات غاية في التناسق والتكامل، متدرجة في تنبيه شعوب الأرض إلى واجباتها، حسب مستوياتها حتى تمّت، وختمت برسالة محمد ﷺ.

فما معنى ختم النبوّة؟

ختم النبوّة يعني: أنّ محمداً ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين، وأنّ رسالته خاتمة الرسالات، وأنّ دين الإسلام هو دين الحقّ الذي لا يقبل الله من أحد غيره؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥، وأنّ القول بوجود أنبياء آخرين بعد محمد ﷺ أو رسالات أخرى بعد الإسلام مخالف لنصوص القرآن والسنّة النبويّة وإجماع الأمة، ويخرج قائله من ملّة الإسلام.

من الأدلّة على ختم النبوّة:

إنّ مسألة ختم النبوّة من مسائل العقيدة الراسخة، شأنها شأن أركان الإيمان، وعليها الكثير من الأدلّة الشرعيّة والعقليّة.

الأدلّة الشرعية:

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٠؛ إذ تبيّن الآية الكريمة أنّ محمداً ﷺ خاتم النبيّين، ويلزم من ذلك أن يكون خاتم المرسلين؛ بمعنى إذا كان لا نبيّ بعده، فلا رسول بعده من باب أولى.

وقد أخبر الله -سبحانه وتعالى- نبيّه ﷺ والمؤمنين أنّه قد أكمل لهم هذا الدين، وأتمّه فلا يحتاجون إلى أن يزيدوا عليه أو ينقصوا منه؛ قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾المائدة: ٣، كما يفهم من الآية الكريمة -أيضاً- أنّ شريعة الإسلام لن تُنسخ بأخرى، كما نسخت الشرائع السابقة، وهذا دليل على أنّها خاتمة الرسالات.

ثانياً: الأدلّة من الأحاديث الشريفة:

هناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي تناولت مسألة ختم النبوّة، منها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مثلي، ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً؛ فأحسنه، وأجمله إلا موضع لَبِنَةٍ من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللَّبِنَة. قال: فأنا اللَّبِنَة، وأنا خاتم النبيّين**»[1]. لقد جاء هذا الحديث حاسماً في تأويل قوله تعالى وخاتم النبيّين، فقد شبّه رسول الله ﷺ عالم النبوّة بالصرح البديع الذي يكاد يكتمل إلا موضوع لَبِنَة؛ فاكتمل البناء بنبوّته ﷺ.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيّ خلفه نبيّ، وأنّه لا نبيّ بعدي**»[2].
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبيّ**»[3].

ثالثاً: إجماع الصحابة:

إجماع الصحابة له الأهمية الكبرى بعد القرآن، والسنّة وقد حارب الصحابة رضي الله عنهم كلّ مَنْ قام بدعوى النبوّة بعد وفاة النبيّ ﷺ.

نشاط:

أذكر بعض من ادّعى النبوّة في زمن رسول الله ﷺ، وصحابته.

رابعاً: إجماع علماء الأمة بعد إجماع الصحابة رضي الله عنهم:

فهم في كلّ زمان ومكان إلى زمننا هذا مجمعون على عقيدة ختم النبوّة.

---

١ رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيّين.

٢ أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ذكر بني إسرائيل، وأخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء.

٣ رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب أسماؤه ﷺ.

الأدلّة العقليّة:

إنّ الناظر إلى رسالة الإسلام، ومبادئها، وأهدافها يصل إلى قناعة راسخة إلى أنّ رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة، **وذلك من وجوه كثيرة، منها:**

١ هي الرسالة الوحيدة التي تكفّل الله بحفظها من بين الرسالات السماويّة؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وقد عجز أعداء الإسلام عن إثبات عكس هذه الحقيقة مع كثرة المحاولة.

٢ عالمية رسالة الإسلام في مجالاتها الاعتقادية والتشريعية، فقد جاءت تشريعاتها كاملة تنظّم شؤون البشرية جمعاء.

٣ جعلت للعقل الإنساني دوراً مهماً في فهم النصوص، واستنباط الأحكام الشرعية؛ ما حفظ لها حيويتها، وصلاحيتها لكلّ زمان ومكان، ولم يكن هذا في الرسالات السابقة.

الفرق الضالة التي خالفت عقيدة ختم النبوّة:

أولاً: القاديانيّة:

من الفرق الضالة التي خالفت إجماع المسلمين في مسألة ختم النبوّة فرقة القاديانيّة (الأحمدية)، نسبة إلى شخص اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني من بلدة قاديان في باكستان، ادّعى النبوّة في زمن الاستعمار البريطاني للهند، وتوفي سنة ١٩٠٨، وقد فسر قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٠ التي وردت في الآية السابقة تفسيراً غريباً وشاذاً، حيث قال (خاتم النبيّين)؛ أي طابعهم، فكلّ نبيّ يظهر بعد محمد ﷺ مطبوعة بخاتم، كما وأول قوله ﷺ: «**لا نبيّ بعدي**» على معنى: أنّه لا نبيّ بعده من غير أمته.

وقد توالت ضلالات القاديانيّة، ومظاهر خروجهم من ملّة الرسلام؛ فقد حكم أتباعها بالكفر على مَنْ لا يؤمن بنبوّة غلام أحمد، ومنعوا أتباعهم من الصلاة وراء المسلمين، أو الزواج من المسلمات وحرّفوا، وبدّلوا في مبادئ الإسلام.

ثانياً: البهائيّة:

ومن الفرق الضالّة أيضاً فرقة البهائية، نسبة إلى مؤسسها الذي أطلق على نفسه بهاء الله، واسمه الميرزا حسين علي المازندراني، نسبة إلى بلدته مازندران ولد سنة ١٨٥٣م في إيران، حيث ادّعى أنّه نبيّ يُوحى إليه بعد رسول الله ﷺ، وقال بحلول الله سبحانه وتعالى في شخصه وتوحده به.

وبعد مطاردته من شاه إيران استقرّ به المقام في مدينة عكا في فلسطين، ومات فيها سنة ١٨٩٢، وأوصى بالأمر من بعده إلى ولده عباس، الذي لقب نفسه (عبد البهاء).

أول البهائية قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الأحزاب: ٤٠، أنّ الخاتم بمعنى: الحلية، والزينة، ومحمد ﷺ هو بين الأنبياء عليهم السلام حليتهم وزينتهم التي يتزينون بها، وهذا نوع من التلاعب بالقرآن الكريم عن طريق تأويل ألفاظه ومعانية تأويلاً باطلاً ومخالفاً لمقاصد القرآن الكريم. كما أسقطوا فريضة الجهاد، ودعوا إلى وحدة الأديان، واتخذوا قبلة غير قبلة المسلمين.

والمتتبع لنشأة هاتين الفرقتيْنِ الضالتيْنِ، يرى أنّ الاستعمار البريطانيّ -آنذاك- هو مَنْ شجّع على ظهورهما، ودعمهما بقصد إفساد عقيدة الإسلام، وتفتيت الأمّة الإسلاميّة إلى فِرقٍ وأقاليمَ متنافرةٍ متباغضة.

فلا يزال -إلى يومنا هذا- مَنْ يقف مع هذه الفرق الضالّة من الدول الغربية والكيان الإسرائيليّ، ويدعمها ويسهل نشر أباطيلها.

التقويم

١ ما المقصود بختم النبوة؟

٢ ما حكم مَنْ لا يؤمن من أهل الكتاب برسالة محمد ﷺ؟

٣ أوضّح حكم مَنْ ينكر عقيدة ختم النبوّة.

٤ أعلل: تعتبر رسالة الإسلام الرسالة الوحيدة التي جاءت للناس كافة.

٥ أذكر الأدلّة العقليّة على ختم النبوّة.

٦ أبيّن خطر الفرق الضالّة على العقيدة الإسلاميّة.

الدرس
٢٤

البشرى ببعثة محمد ﷺ

إنّ وجوه البشارة بالنبيّ ﷺ في كتب الأنبياء من أهم ما أكّدت عليه النصوص القرآنيّة والسنّة النبويّة التي أظهرت أنّه ما من نبيّ إلا وذكّر أمّته بأمر هذا النبيّ، وأخذ عليهم في ذلك الميثاق، لئن بعث محمد ﷺ ليؤمننّ به؛ إذ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ آل عمران: ٨١.

والعلماء من أهل الكتاب -كما ذكر القرآن الكريم- يعرفون رسول الله ﷺ معرفتهم بأنبيائهم؛ لكثرة ما حدّثهم الأنبياء عنه، وعن صفاته المكتوبة في كتبهم؛ إذ قال تعالى في بيان ذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ٢٠.

وكان اليهود في الجزيرة العربية يدعون الله أن يفتح عليهم بالنبيّ المنتظر حتى يتبعوه، ويقاتلوا العرب الوثنيين معه؛ لأنّهم يعلمون أنّ الله سيكتب له النصر والفتح، ولمّا جاء النبي من العرب، ولم يكن من بني إسرائيل حسدوهم على ذلك وكفروا به، وقد بيّن الله تعالى حقيقتهم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ٢٠.

وقد بيّن القرآن الكريم أنّ عيسى عليه السلام بُشِّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد؛ فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الصف: ٦.

وقد آمن بسبب هذه البشارات عدد من اليهود والنصارى، منهم: الجارود بن العلاء، الذي كان من علماء النصارى، وعبد الله بن سلام كان من أحبار اليهود وأعلمهم بالتوراة.

شهادات من التوراة والإنجيل تتضمن البشارة بمحمد ﷺ:

عرفنا في الدروس السابقة، أنّ التوراة والإنجيل الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى -اليوم- محرّفة، ويدل على ذلك الاختلاف الظاهر بين نسخها وطباعتها، ومع ذلك فقد بقي فيها من البشارات على نبوّة محمد ﷺ.

نشاط:

أرجع إلى كتاب من كتب التفسير، وأبيّن تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ التين: ١ - ٢.

ومن أمثلة ذلك:

- **ما جاء في سِفر التثنية، المنسوب إلى موسى** عليه السلام، أنّه قال لبني إسرائيل قبيل وفاته: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران»، فقد أخبرهم موسى عليه السلام بأنّه كما جاءت رسالة الله إليه على جبل الطور في سيناء، فإنّ النبوّة ستشرق من جبل سعير في فلسطين؛ وذلك بنبوة عيسى عليه السلام، ثمّ ستتلألأ النبوّة من فوق جبل فاران بنبيّ عظيم يخرج منها.

فاسمُ فاران ورد في التوراة في حديثها عن مكّة المكرّمة، وقد جاء في سِفر التكوين أنّ إسماعيل عليه السلام نشأ، وتربّى في برّيّة فاران، إذ يقول السِفر عن إسماعيل: «كان الله مع الغلام، فكبر...، وسكن في برّيّة فاران».

وذكرتِ التوراة -أيضاً- مكان الوحي الذي أُنزِل على محمد ﷺ، ففي سفر إشعياء الإصحاح (٢١): «وحي من جهة بلاد العرب في الوعر»، وقد كان بدء الوحي في بلاد العرب في الوعر في غار حراء.

- **أمّا ما جاء في الإنجيل، فهناك أمثلة كثيرة منها:**

١ ورد في إنجيل متّى، الإصحاح (١٢): «إن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، مَنْ له أذنان لسمع، فليسمع)؛ إذِ المقصود بإيليا: محمد ﷺ.

٢ ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٤): «إن كنتم تحبوني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب، فيعطيكم فارقليط آخر؛ ليمكث معهم إلى الأبد». وفي نصّ آخر: «والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي، هو يعلّمكم كلّ شي، وهو يذكر لكم كلّ ما قلته لكم»،

والفارقليط تعريب للّفظ اليوناني الموجود في الإنجيل، وهو كثير الحمد، وهو مدلول صيغة التفضيل (أحمد) من الفعل حَمَدَ.

■ **أمثلة من التاريخ على إيمان بعض النصارى بدلائل البشارات الموجودة في الأناجيل:**

- رحل سلمان الفارسيّ من بلاد فارس إلى بلاد الشام، واستقرّ في يثرب ينتظر مَقدم رسول الله ﷺ، لمّا أخبره به (الرهبان) الذين التقى بهم عن ظهور نبيّ في بلاد العرب في أرض ذات نخيل هي يثرب.
- لمّا وصل خطاب رسول الله ﷺ، الذي حمله جعفر بن أبي طالب إلى النجاشيّ ملك الحبشة، قال: «أشهد بالله أنّه لَلنبيّ الذي ينتظره أهل الكتاب».

التقويم:

٣ كيف سكن اليهود جزيرة العرب؟

٤ كيف كان اليهود يتوعدون العرب في يثرب؟

٥ أعطي مثالاً واحداً من التوراة، وآخر من الإنجيل يبشر بنبوّة محمد ﷺ.

٦ أذكر مواطن الرسالات الثلاث التي أشارت إليها سورة التين.

٧ أذكر مثالين على مَنْ آمن من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ: أحدهما من اليهود، وآخر من النصارى.

٨ ماذا تستنتج من قول النجاشي: «أشهد بالله أنّه لَلنبيّ الذي ينتظره أهل الكتاب»؟

الوحـــدة

٦

الإيمان باليوم الآخر

الدرس
٢٥

الإيمان باليوم الآخر: مفهومه وأدلّته

هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، و قد اهتمّ به القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، ومن مظاهر ذلك: أنّه أطلق عليه الكثير من الأسماء، ونبّه إليه في كلّ مناسبة، حتى لا تكاد تجد سورة من سور القرآن الكريم إلا وفيها ذكر لليوم الآخر، بل وربط الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله تعالى في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ البقرة: ٢٣٢، وفي ذلك تنبيه على أنّ الإيمان باليوم الآخر من مستلزمات الإيمان بالله تعالى، وللتذكير باليوم الآخر تأثير في النفوس، وفيه ضبط لسلوك الإنسان وأعماله، وحافز لالتزام أحكام الدين، وعدم الغفلة عنها.

والمقصود باليوم الآخر: هو اليوم الذي تبعث فيه الخلائق، وتحشر للحساب ونيل جزاء الأعمال خيراً أو شراً.

معنى الإيمان باليوم الآخر:

أمّا الإيمان باليوم الآخر فهو: الاعتقاد الجازم بأنّه آخر يوم في هذه الحياة الدنيا، وفيه يفنى العالم كله، وبفنائه تبدأ الحياة الأخرى.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكلّ ما سيقع فيه من أهوال، وما يسبقه من علامات وأشراط، والنفخ في الصور، وبعث الخلائق، والحشر، ونشر الصحف والحساب والموازين والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار وغيرها، ممّا أخبر عنه القرآن، أو جاء في السنّة النبوية الثابتة.

من أسماء اليوم الآخر:

تكرر ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم، وتعددت أسماؤه، ومنها:

١ **يوم القيامة**: لأنّ فيه قيام الخلائق للحساب؛ قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القيامة: ١.

٢ **يوم الدين**: وسمي بذلك؛ لأنّ فيه الحكم على الخلائق ومجازاتهم؛ قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤.

٣ **يوم الفصل**: فيه يفصل الله تعالى بين الخلائق بالعدل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ النبأ: ١٧.

٤ **يوم الوعيد**: ففيه يتحقق وعيد الله تعالى للكافرين؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ ق: ٢٠.

٥ **يوم الخلود**: فالحياة في هذا اليوم حياة خالدة أبدية في الجنة أو النار؛ قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ ق: ٣٤.

ويلاحظ في بعضها أنّها تضمنت المعاني الدالّة على تحقق وقوع ذلك اليوم؛ كالواقعة أو ما يجري فيه من أهوال، ومنها: القارعة والغاشية والطامة، وغيرها.

أدلّة الإيمان باليوم الآخر:

الدليل النقليّ:

الأدلة النقلية على اليوم الآخر كثيرة، فمن القرآن الكريم الآيات السابقة الدالة على أسماء اليوم الآخر، ومنها الإخبار على لسان الأنبياء والمرسلين، فعلى لسان نوح، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ هود: ٢٦، وعلى لسان شعيب قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ هود: ٨٤، فكلّهم أخبر قومه به، وممّا خوطب به الرسول محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ مريم: ٣٩، وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ غافر: ١٨.

ومن السنّة النبوية، كلّ حديث ذكر فيه اليوم الآخر -وبأيّ اسم من أسمائه- دليل نقلي على اليوم الآخر، ومن ذلك الأحاديث التي تناولت أشراط الساعة؛ كقوله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» قال: **وضمّ السبابة والوسطى**.[1]

الدليل العقليّ:

الناظر في حياة الناس، يرى منهم المحسن ومنهم المسيء، ومنهم الظالم والمظلوم، والذي يقتل وينهب ويسرق ويخون دينه، ويعتدي على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم، وقد يفلت بعض مَنْ يقترفون السوء من العقاب في الدنيا، ولا يقتصّ منهم، ولا يعاد لصاحب الحق حقه، فهل يعقل أن تكون هذه هي النهاية؟ هل يعقل أن يترك المسيء يفلت بلا عقاب أو حساب؟ وهل يقبل العقل أن يبقى المحسن بلا جزاء

١ رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين، ورواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة واللفظ له.

وثواب؟، إنّ العقل لا يقبل بذلك، فلا بدّ أن يكون هناك يوم يجازى فيه المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وتُرَدّ فيه الحقوق لأصحابها، وإلا لكان الخلق والوجود كله عبثاً، وهو ما لا يقبله العقل؛ قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون: ١١٥ - ١١٦.

لا يقبل العقل أن يستوي المؤمن العابد لله تعالى والكافر الظالم، فالأول أدى ما عليه، والتزم أوامر الله ونواهيه، فصام وصلى وتصدق وحسّن خلقه، والثاني أتبع نفسه هواها، ورتع في الدنيا وشهواتها، وانصاع لنزواته وغرائزه، وأشبعها على غير هدى، وكفر بأنعم الله، وتنكّر لخالقه، ثم يموت كلاهما (المؤمن والكافر)، فلا ثواب ولا عقاب؟!، إنّ العقل يدرك أن لا بُدّ من يوم يجازى فيه كلّ واحد منهما على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ؛ قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦.

حكم الإيمان باليوم الآخر:

إنّ الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ومَنْ أنكره فهو كافر خارج من ملّة الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١٣٦.

التقويم

١ ما المقصود باليوم الآخر؟

٢ يتضمن الإيمان باليوم الآخر أموراً كثيرة. أذكر ثلاثة منها؟

٣ أذكر مظهرين من مظاهر اهتمام القرآن باليوم الآخر.

٤ هاتِ أربعةً من أسماء اليوم الآخر وما تدل عليه من معانٍ.

٥ أعلل ما يأتي:

أ لا مفرّ للعقل من الإقرار باليوم الآخر.

ب اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر اهتماماً كبيراً.

الدرس

٢٦

أشراط الساعة الصغرى

إنّ الساعة من أسماء يوم القيامة، ويوم تقوم الساعة تنتهي الحياة الدنيا بجميع أوضاعها، وتبدأ القيامة بكلّ أهوالها، فلا يبقى شيء في مكانه أو على نسقه المألوف؛ فالسموات تُطوى، والكواكب تُنتثر، والأرض تُسوى، والنظام الكونيّ كلّه لا يبقى على صورته المعهودة؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكوير: ١ - ٦، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الانفطار: ١ - ٥.

موعد الساعة:

أمّا زمان الساعة ووقتها فممّا اختص به الله سبحانه، فلم يُطْلِعْ عليه أحداً من خلقه، بمن فيهم الأنبياء والرسل؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧، وإن كان الله سبحانه قد أخفى الساعة عنّا، إلا أنّه سبحانه بيّن لنا أشراطاً أو علامات لها، بمثابة مقدمات أصبحت من المعلوم من الدين بالضرورة، فلا يجوز لمسلم أن ينكرها.

ثم جاءت أحاديث الرسول ﷺ؛ لتفصل لنا في هذه الأشراط، وقد قسمها علماؤنا إلى قسمين:

الأول: أشراط صغرى.

الثاني: أشراط كبرى.

أمّا الأشراط الصغرى للساعة، فقد أسهبت فيها أحاديث الرسول ﷺ سواء من حيث:

- الفتن والفساد الذي سيظهر في البرّ والبحر.
- حالات الضعف والفرقة التي تحصل في الأمة.
- حالات الصراع التي يحدث بين الأمة وخصومها.
- البشارات والانتصارات التي ستتحقق للأمة.

أم غير ذلك من الأمور التي تحدّث عنها الرسول ﷺ.

وأهم هذه الأشراط ما يأتي:

أولاً: **بعثة محمد ﷺ**، والذي ببعثته خُتمت النبوة والرسالة، واستقرّ المنهج الذي أراده الله سبحانه لصلاح دنيا الإنسان وآخرته؛ قال ﷺ: «**بعثتُ أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى**»[1].

ثانياً: **تضييع الأمانة**: حيث أمرنا الله سبحانه بحفظها، وعدم التفريط فيها، وأدائها على وجهها الصحيح؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «**متى الساعة؟، فقال: إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها؟، قال: إذا أُسنِد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[2].

ثالثاً: **كثرة القتل والاستهتار بأرواح البشر**، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إنّ بين يدي الساعة لهرجاً. قال: قلت يا رسول الله: ما الهرج؟، قال: القتل. فقال بعض المسلمين، يا رسول الله: إنّا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته، فقال بعض القوم: يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟، فقال رسول الله ﷺ: لا، تُنْزَعُ عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس لا عقول لهم**»[3].

رابعاً: **انتشار الفساد والفواحش والجهل عند الناس**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أشراط الساعة أن يقلّ العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقلّ الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القَيِّمُ الواحد**»[4].

خامساً: **تبدُّل الحال، واستيلاء أهل البادية على الأمر**: وفي حديث جبريل الذي يرويه عمر بن الخطاب، عندما جاء يعلِّم الناس أمور دينهم في صورة إنسان، فسأل الرسول ﷺ عن الساعة، فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبِرْني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأَمَة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»[5].

---

١ رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين.
٢ رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة.
٣ مسند الإمام أحمد: ٢/ ٢٩٤، سنن ابن ماجه ٢، ١٣٠٩.
٤ رواه البخاري: كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل.
٥ رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب أمارات الساعة.

سادساً: عودة الإسلام وانتشاره: فقد بشّر الرسول ﷺ بانتشار هذا الدين، وبلوغه الأرض كلَّها، فعن تميم الداريّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عزاً يُعزّ الله به الإسلام، وذلاً يُذل الله به الكفر**»[1].

أتعلم:

- **المَدَر**: الطين اللّزج المتماسك. وأهل المدر: سكان البيوت المبنية.
- **الوَبَر**: صوف الإبل والأرانب وغيرها. وأهل الوبر: أهل البادية.

سابعاً: مقاتلة اليهود والانتصار عليهم: فقد بشّر الرسول ﷺ بنهاية ظلم اليهود على هذه الأرض المقدسة، وإزالة فسادهم واحتلالهم لها؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديّ من وراء الحجر أو الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهوديّ خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد، فإنّه من شجر اليهود**»[2].

التقويم

١ ما المقصود بأشراط الساعة.

٢ أذكر ثلاثة من الموضوعات التي تضمنتها أشراط الساعة.

٣ أستدلّ بنص شرعي على أنّ بعثة الرسول ﷺ من أشراط الساعة.

٤ أوضّح المراد من (تضييع الأمانة) كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف.

٥ أذكر مشهداً من مشاهد الحياة اليومية التي نعيشها ويُعدّ من أشراط الساعة.

٦ ماذا تستنتج من قول الرسول ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

١ مسند الإمام أحمد: ٤/ ١٠٣.

٢ رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود.

الدرس
٢٧

أشراط الساعة الكبرى

مرّ معنا في الدرس السابق أنّ للساعة أشراطاً صغرى بدأت ببعثة محمد ﷺ، وتنتهي بظهور العلامات أو الأشراط الكبرى، والتي تؤذن بتغيّر جذريّ في نظام هذا الكون العلويّ والسفليّ، هذه العلامات التي تسبق قيام الساعة، وتكون مقدمة لها، هي أحداث مذهلة وغير مألوفة.

وقد وردت هذه الأشراط في أكثر من آية كريمة وحديث نبويّ شريف، ولعلّ أشمل حديث لها: ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاريّ قال: اطّلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟، قلنا: نذكر الساعة، قال: إنّها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تطرد الناس إلى محشرهم**»[1].

- **أمّا الدخان**: فقال العلماء: إنّه يكون بين يدي الساعة، ويمكث في الأرض أربعين يوماً، ويعتبر من أشراطها الكبرى؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ الدخان: ١٠ - ١١، وإنّه يصيب الكافر حتى يصبح بمنزلة السكران، وأمّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام.
- **وأما الدجال**: فرجل يخرج في آخر الزمان، ويدّعي الألوهيّة، وهو من العلامات الكبرى للساعة، وسمي الدجال دجالاً؛ لشدّة دجله، وتغطيته الحق بباطله، وتجري على يدي الدجال بعض الخوارق من باب الفتنة للناس، وقد وردت نصوص من السنّة تشير إلى أنّه يظهر في أصفهان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهودها، وهو أعور العين اليمنى، ولا يمكّن من دخول مكة والمدينة.
- **وأمّا الدابة**: فهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل: ٨٢، هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، فتميز المؤمن من الكافر، وقال المفسرون: إنّها تخرج من صَدْعٍ في الصفا.

١ رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة.

- **وأمّا طلوع الشمس من مغربها**: فهي بداية التغيير الذي يُحدِثه الله سبحانه على نظام الكون العلويّ، والذي يتبعه تغيير شامل لنظام الكون، وبظهور هذه الآية لا تنفع نفساً توبة أو إيمان أو عمل صالح، والذي بيده طلوع الشمس من المشرق قادر على أن يجعل شروقها من المغرب.
- **وأمّا نزول عيسى بن مريم** عليه السلام: فعقيدتنا فيه أنّه رسول من رسل الله، بل من أولي العزم من الرسل، حاول اليهود قتله فنجاه الله منهم ورفعه إليه؛ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء: ١٥٧، وأنّه سينزل في آخر الزمان يحكم بالإسلام، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب.
- **وأمّا يأجوج ومأجوج**: فهم أقوام من البشر، وردت نصوص صحيحة وصريحة تفيد العلم اليقينيّ بظهورهم في آخر الحياة وإفسادهم، وأمّا تحديد الزمن وتفصيلات ذلك فهو من أمور الغيب. وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم؛ حيث يقول سبحانه: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ الكهف: ٩٤، ويقول سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الأنبياء: ٩٦.
- **وأمّا الخسوف**: فهي ممّا أخبر عنه الرسول ﷺ، وهي ثلاثة خسوف: واحد في المشرق، وثانٍ في المغرب، وثالث في جزيرة العرب. ولم يرد تفصيل أكثر حول هذه الخسوف، ولذا نتوقف عند هذه النصوص فقط.
- **وأمّا النار التي تخرج من عدن**: فتسوق الناس جميعاً إلى أرض المحشر، وهي أرض الشام، وعدن هي المدينة المشهورة في اليمن، وفي رواية أخرى: إنّها تخرج من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى الشام. ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، أو أن يكون ابتداء خروجها من اليمن، بينما كثرة قوتها بالحجاز. والله تعالى أعلم.

ميزة العلامات الكبرى:

تمتاز العلامات أو أشراط الساعة الكبرى، في أنّها إذا ظهرت يغلق باب التوبة والعمل الصالح، فلا يقبل إيمان من كافر أو توبة من عاصٍ، أو عمل من مقصّر، بخلاف العلامات الصغرى التي فيها مجال لكلّ ذلك. يقول -عزّ وجلّ-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٨.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الأشراط الكبرى تغير من نظام الكون العلويّ والسفليّ .

ب ( ) يمكث الدخان في الأرض أربعين سنة .

جـ ( ) الدجال يدّعي الألوهيّة، وليس النبوّة .

د ( ) يستطيع الدجال أن يدخل جميع المدن على الأرض .

هـ ( ) يستطيع الإنسان الكافر أن يسلم مع ظهور العلامات الكبرى .

و ( ) النار التي تخرج من عدن تقف عند الحجاز .

٢ أذكر سبعة أشراط للساعة الكبرى وردت في الحديث الشريف .

٣ أوضّح أثر الدخان على المؤمن والكافر .

٤ أذكر ثلاثة أعمال يقوم بها عيسى عليه السلام عند نزوله؟

٥ أعود إلى معاجم اللغة، وأستخرج معنى يأجوج ومأجوج .

الدرس ٢٨

نعيم القبر وعذابه

كلّ نفس ذائقة الموت؛ فالإنسان بموته يفارق الحياة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الموت بالمصيبة، فقال: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ المائدة: ١٠٦.

ويسبق الموتَ حالةٌ من الشدّة والكرب تعرف بسكرة الموت؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ ق: ١٩.

كما يخبر الله تعالى عن حال الناس عند موتهم، وهم صنفان: أهل الشقاوة الظالمون لأنفسهم، حيث قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ النحل: ٢٨-٢٩، وأهل السعادة الذين وصف الله تعالى حالهم عند الموت بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ النحل: ٣٢، وأخبر أنّ الملائكة تسلّم عليهم، وتبشّرهم بالجنة، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ فصلت: ٣٠.

أتعلّم:

لم يثبت في تسمية ملك الموت حديث صحيح.

ومن علامات حُسن الخاتمة للمؤمن أن يكون آخر كلامه في الدنيا (لا إله إلا الله)، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1].

حياة البرزخ:

إنّ موت الإنسان لا يعني فناءه، وإنّما انتقاله من حياة الدنيا إلى حياة أخرى هي حياة البرزخ.

والبرزخ في اللغة: هو الحاجز بين شيئين. **وفي الاصطلاح**: هي الحياة ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث؛ فمن مات دخل البرزخ؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

١ أبو داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين.

فتنة القبر وسؤال الملكيْن:

نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ من فتنة القبر وسؤال الملكين للإنسان عن ربه ودينه ونبيّه، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنّ الناس يُفتنون في قبورهم، فيقال للعبد: مَن ربك؟، وما دينك؟، ومَنْ نبيك؟، فيقول المؤمن: ربّيَ الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي. وأمّا المرتاب، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيُضرب ويُعذب.

نشاط:

أرجع إلى كتاب من كتب الحديث، وأكتب حديثاً في سؤال الملكين للإنسان في قبره.

وقال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ إبراهيم: ٢٧، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي، ثمّ شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله**؛ فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ **نزلت في عذاب القبر**». [1]

عذاب القبر ونعيمه:

لا ينتهي الأمر بالإنسان في قبره عند الفتنة والسؤال، بل إنّ في القبر عذاباً ونعيماً، نؤمن بذلك ونصدق به؛ لما ورد في ذلك من قرآن، ولما أخبر به نبينا محمد ﷺ، ومن ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٦، فهذه الآية أصل كبير في الاستدلال على عذاب القبر، ففي قوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾، إشارة إلى عذاب القبر، والدليل على ذلك في قوله تعالى من الآية نفسها: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾، فقد ذكرت الآية عذاب الآخرة، ما يدل أنّ العذاب الذي ذُكر في بداية الآية غير عذاب الآخرة، وهو بلا ريب عذاب القبر.

١ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

ثانياً: من السّنة المشرّفة:

ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مرّ النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانيْنِ يعذبان في قبريهما، فقال النبي ﷺ: **«يعذبان، وما يعذبان في كبير»**. ثمّ قال: **«بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»**. ثمّ دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كلّ قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: **«لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا. أو إلى أن ييبسا»**[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنّ أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي؛ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»**[2].

فائدة:

إنّ إدراك كيفية عذاب القبر أمر فوق مقدور البشر، فهو من الغيبيات التي يصعب على العقل إدراكها.

أسباب عذاب القبر:

لعذاب القبر أسباب عديدة منها:

١ الشرك بالله تعالى والكفر به؛ دلّ عليه ما تقدم في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ....﴾ غافر: ٤٦، وكذلك لمّا مرّ الرسول ﷺ بقبورٍ يُعذّب أصحابُها سأل عنهم، فأجابوا: ناس ماتوا في الجاهلية، فأمر النبي ﷺ بالتعوّذ بالله من عذاب النار[3].

٢ الغيبة والكلام في أعراض المسلمين من غير سبب شرعيّ.

٣ المشي بالنميمة ونقل الكلام للإفساد بين المسلمين.

٤ عدم التستر من البول والتنزّه منه.

٥ اختلاس الأموال العامة وخيانة الأمانة؛ ودليل ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدَّثني عمرُ قال: لَمَّا كان يومُ خيْبرَ أَقْبلَ نفَرٌ من صحابةِ النبيِّ ﷺ، فقالوا: فلانٌ شهيدٌ، وفلانٌ شهيدٌ، حتى مَرُّوا على رجُلٍ فقالوا: فلانٌ شهيدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: كلاّ، إنّي رأيتُهُ في النارِ

---

١ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر.

٢ رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يُعرض عليه بالغداة والعشي.

٣ مسند أحمد، ج ٢١، ص ١١٩، حديث رقم ١٣٤٤٧.

في بُرْدَةٍ غَلَّها -أو عَباءةٍ-، ثُمَّ قال رسولُ الله ﷺ: «**يا بنَ الخطاب، اذهبْ فَنادِ في الناسِ: أنَّهُ لا يدخلُ الجَنَّةَ إلا المؤمنون -ثلاثاً- قال: فخرجتُ، فناديتُ: ألا إنّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا المؤمنونَ، ثلاثاً**». [1]

التقويم:

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) حياة البرزخ هي ما بين الدنيا والآخرة من الموت إلى البعث.

ب ( ) يبشّر المؤمن فقط بخاتمته عند الاحتضار.

جـ ( ) فتنة القبر هي ذاتها عذاب القبر.

د ( ) ثبتت حياة البرزخ بالأحاديث النبويّة فقط.

١ أعدّد ثلاثة أسباب لعذاب القبر.

٢ أستدلُّ بحديث واحد على عذاب القبر.

٣ أعلل ما يأتي:

أ لا يمكننا الوقوف على كيفيّة عذاب القبر ونعيمه.

ب إطلاق (البرزخ) على مرحلة ما بعد الموت.

١ رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

الدرس
٢٩

أهوال يوم القيامة

يبدأ اليوم الآخر بأحداث عظام تتغير فيها معالم هذا الكون؛ فتنشقّ السماء وتتناثر النجوم وتتصادم الكواكب، وتتفتت الأرض ويدمر كلّ شيء عرفه الإنسان في هذا الوجود؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ إبراهيم: ٤٨، ويموت كلّ مَنْ كان على الأرض حياً، كلّ ذلك إثر النفخة الأولى في الصور (وهو البوق)، ينفخها إسرافيل بأمر ربه؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٣ - ١٦.

وبعد النفخة الأولى يأمر الله سبحانه بالنفخة الثانية؛ فتعود الحياة على أثرها إلى الأموات، وهذا هو البعث الذي يتم فيه إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا، وقد أقام القرآن الكريم الأدلة الكثيرة على البعث، وردّ على منكريه؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ الروم: ٢٧، فمَنْ يبدأ الخلق، ثمّ يفنيه قادر على إعادته وبعثه لا محالة.

نشاط:

أرجع إلى القرآن الكريم، وأكتب آيةً ردّ الله فيها على منكري البعث.

من أحداث اليوم الآخر:

الحشر:

ويكون بعد بعث الخلائق، وإخراجهم من قبورهم؛ قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ مريم: ٨٥ - ٨٦، فيتمّ حشر الخلائق لموقف الحساب، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً للفصل والقضاء بينهم.

وقد عرض القرآن الكريم طائفة من الصور المرعبة في ذلك اليوم؛ لتقريب حقيقة ما سيجري فيه إلى الأذهان، وتعميق الخشية من الله في القلوب، **ومن هذه الصور:**

١ تشقُّق الأرض عن الخلائق يوم القيامة؛ فيخرجون منها سراعاً إلى موقف الحشر؛ يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ ق: ٤٤، ويصيبهم الذهول

عند خروجهم من قبورهم؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ الحج: ١ - ٢.

٢ ما يصيب أهل الموقف من كرب شديد يتفاوت بمقدار أحوال أهل الموقف في الحياة الدنيا من طاعة وعصيان لرب العالمين؛ روى المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم مَنْ يكون إلى كعبيه، ومنهم مَنْ يكون إلى ركبتيه، ومنهم مَنْ يكون إلى حقويه، ومنهم مَنْ يلجمه العرق إلجاماً**»، وأشار الرسول ﷺ بيده إلى فيه.[1]

■ العرض والسؤال والحساب:

يُعرَض الناس على ربهم، وتُقام الحجج عليهم، ويطلعون على أعمالهم، ويقرؤون صحفهم التي كتبتها الملائكة؛ يقول تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ الحاقة: ١٨، فيوقف الله العباد قبل الانصراف من الحشر؛ فيحاسبهم على أعمالهم وأقوالهم خيراً كانت أو شراً، وذلك بعد أخذهم صحائفهم؛ فيتعرفون على أعمالهم وما لهم وما عليهم، والناس متفاوتون في الحساب، فمنهم مَنْ يُحاسب حساباً يسيراً يعرض عليه عمله فيطلعه الله على سيّئاته بحيث لا يطّلع عليها أحد ثمّ يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة، ومنهم مَنْ يناقش الحساب بأن يسأل عن كلّ جزئية ولا يُقبَل منه عذر ولا حجة؛ فيهلك مع الهالكين بعد أن يُفضح بين الخلائق، ويتولى ذلك كله أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

■ الصراط:

وهو جسر منصوب على جهنم، ورد وصفه في الأحاديث الصحيحة بأنّه أحدّ من السيف، وأدقّ من الشعرة، وهو في ظلام دامس، والمرور عليه لجميع الناس: الأنبياء والمؤمنين والكفار، وتكون سهولة مرور الناس على الصراط على حسب أعمالهم في الحياة الدنيا؛ فمنهم مَنْ يمرّ كانقضاض الكواكب، ومنهم مَنْ يمرّ كالريح، ومنهم مَنْ يمرّ كالطرف، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمرّ المقلّ في العمل الصالح تخرّ يد وتعلق يد، وتخرّ رجل وتعلق رجل، ويعطون نوراً لاجتيازهم الصراط المستقيم على قدر أعمالهم.

---

١ رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة.

وعلى جوانب الصراط المستقيم كلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً، فمَنِ اهتدى إلى الصراط المستقيم في الحياة الدنيا هداه الله وأضاء طريقه عند اجتيازه له، ومَنْ ضلّ عن هذا الطريق أظلم عليه فلا يجد طريقه ويهوى في النار.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى المرور على الصراط في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم: ٧١ - ٧٢

■ آثار الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من حساب وعقاب وفوز وخسران آثار عظيمة في حياة الإنسان، منها:

١ انضباط الإنسان والتزامه بما يرضي الله عزّ وجلّ، ويظهر ذلك واضحاً عند المقارنة بين اثنين أحدهما لا يؤمن باليوم الآخر ولا بالحساب على أعماله وأقواله، وهو منقاد لأهوائه وشهواته، وآخر يؤمن بيوم يحاسب فيه الناس على أعمالهم وأقوالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، فالأول منفلت من أيّ انضباط، وتسيره أهواؤه وشهواته، والغاية عنده تبرر الوسيلة، والآخر منضبط في حدود الخير والحق والصلاح، فهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم.

٢ الشعور بالحياء من الله تعالى، والخشية من لقائه وحسابه، والرغبة في تجنب سخطه وغضبه، والسعي إلى الوصول إلى مرضاته ومحبته؛ فيكون بذلك الإنسان الصالح في جميع دروب الحياة.

٣ يعلّم المؤمن أنّ شهوات الدنيا كلّها لا تستحق منه الطلب والجهد والتنافس عليها، وإنّ الذي يستحق ذلك إنّما هو ما أعد الله لهم في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة: ٣٨.

التقويم:

١ أعرِّف : الحشر، العرض، الصراط .

٢ أستدل بنص شرعي لكلّ ممّا يأتي :

أ قدرة الله -عزّ وجلّ- على إحياء الموتى .

ب المرور على الصراط يوم القيامة .

٣ أصف حال الناس يوم الحشر .

٤ أفرّق بين النفخة الأولى والنفخة الثانية .

٥ أوضّح أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المؤمن .

الوحـــدة

٧

الإيمان بالقضاء والقدر

الدرس
٣٠

الإيمان بالقضاء والقدر: مفهومه وأدلّته

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان العقيدة الإسلاميّة، ولا يتحققُ إيمانُ عبد حتى يؤمن بالقدر. فما معنى القضاء والقدر؟

معنى القضاء والقدر:

القدر في اللغة: من قَدَرتُ الشيء إذا أحطتُ بمقداره، **والقدر في الاصطلاح**: ما سبق به علمُ الله تعالى، وجرى به القلمُ ممّا هو كائن إلى الأبد، فالله -عزّ وجلّ- قدّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعَلِم أنّ هذه الأشياء سوف تقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ على حسب ما قدّرها سبحانه وتعالى.

والقضاءُ في اللغة يعني: انقضاءُ الشيء وتمامُه، وكلّ ما أُحكم عملُه وأُتمّ.

وفي الاصطلاح: وقوعُ الشيء على نحو ما قدّر الله له.

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

يتضمن الإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب، مَنْ أقرّ بها كان إيمانه بالقضاء والقدر مكتملاً، وهي:

الأول: **علم الله الشامل المحيط بكلّ شيء**؛ فالله تعالى عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ الطلاق: ٢١، وعِلْم الله المسبق بما سيكون من حال العبد، ومَنْ سيختار الإيمان أو الكفر، لا يعني بأنّ العبد مكره على الكفر، فلو قال المعلم لتلاميذه: فلان سوف ينجح لعلمه المسبق باجتهاد ذلك الطالب ومتابعته. أو قال: فلان سوف يرسب لعلمه المسبق بحال هذا الطالب وتقصيره، ثمّ جاءت النتيجة مطابقة، فليس للطالب الراسب أن يحتجّ على المعلم بسبب علمه المسبق وقوله، بل عليه أن يلوم نفسه على التقصير.

الثاني: **كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ لكلّ ما هو كائن**؛ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ يس: ٢١، والقدر غيبٌ استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعليه فلا يُقبل قول مَنْ يقول: أنا لا أصلي؛ لأنّ الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ألا أصلي!، فلا يقبلُ احتجاجه هذا، ويقال له: هل اطّلعت على الغيب، حتى تعلم ما كتب الله عليك؟ أليس الأولى أن تحسن الظنَّ بالله تعالى، فتعتقد أنه -سبحانه- قد كتب لك الخير؟

الثالث : **مشيئة الله النافذة وقدرته التامة**، وأنّ كلّ ما يقع في الكون إنّما يقع بمشيئة الله تعالى، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ التكوير : ٢٩ .

الرابع : **أنّ جميع ما في الكون إنّما هو خلْقُ الله تعالى وأثرُ قدرته**، ليس له شريك في الخلق؛ قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الزمر : ٦٢ . والخير والشرّ مخلوقان لله تعالى في كل شيء خلقه، وللخير أسبابه وللشرّ أسبابه، والعبد يأتي هذه الأسباب، ويعمل بمحض إرادته وحرية اختياره غير مُكْره عليها، وعلى هذا الأساس يثاب أو يعاقب .

نشاط:

يرتبط الإيمانُ بالقضاء والقدر بالإيمان بأسماء الله وصفاته، ومن هذه الصفات : العلمُ والقدرةُ والإرادةُ. أرجعُ إلى القرآن الكريم، وأكتبُ آيات ثلاث تتضمن هذه الصفات .

القدر سرّ من أسرار الله تعالى:

يكفي في الإيمان بالقضاء والقدر أن نعلم معناه وأركانه، وأن نؤمن بأنّ الله تعالى بكلّ شيء عليم، وهو خالق كلّ شيء، وفعّال لما يريد، وأنّه عادل لا يظلم أحداً، وأنّه حكيم منزّه عن العبث، ونؤمن بأنّ ما علم الله حاجتنا إليه بيّنه لنا، وما طواه عنا لا يجوز أن نتكلّف البحث عنه؛ فإنّ عقولنا محدودة ليس بمقدورها الكشف عما استأثر الله بعلمه، وليس أمامنا إلا الإيمانُ بما يعرّفُنا الله عليه من أمور الغيب وقضاياه، وقد بيّن الرسول ﷺ مسألة القدر، وأنّ العمل والأخذ بالأسباب هو من القدر، وحذّر أمته من الذين يكذّبون به، وغضب غضباً شديداً عندما خرج على أصحابه يوماً، وهم يتنازعون في القدر، حتى كأنما فُقئ في وجهه حبّ الرمان، فقال : «**أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟، إنّما هلك مَنْ كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»[1] .

أقرأ وأتدّبر:

يقول الإمام الطحاويّ : «أصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه لم يطّلع عليه ملَك مقرّب، ولا نبيٌّ مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلّمُ الحرمان ودرجةُ الطغيان، فالحذرَ الحذرَ من ذلك : نظراً وفكراً ووسوسةً، فإنّ الله طوى علمَ القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ الأنبياء : ٢٣، فمن سأل : لمَ عملَ؟، فقد ردّ حكمَ الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين» .

١ رواه الترمذي : كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .

أدلة الإيمان بالقضاء والقدر:

ثبتت عقيدة الإيمان بالقدر في آيات كثيرة من القرآن وفي أحاديث صحيحة ثابتة:

- **أمّا آيات القرآن**: فقد صرحت بوجوب الإيمان بإحاطة علم الله تعالى بكلّ شيء، وشمول إرادته لكلّ ما يقع في الكون، ونفوذ قدرته تعالى في كلّ شيء؛ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد: ٢٢، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر: ٩٤، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ الفرقان: ٢، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يونس: ١٦.
- **أمّا الأحاديث** التي أثبتت عقيدة القضاء والقدر، وأوجبت الإيمان بها فكثيرة، منها: حديث عمر ﷺ أنّ جبريل سأل النبيّ ﷺ: «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ**»[1].

وروى مسلم في صحيحه قال طاؤوس: «**أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كلّ شيء بقدر**». قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: «**كلّ شيء بقدر حتى العجز والكيْس، أو الكيْس والعجز**»[2].

حكم الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقدر خيره وشره واجب على كلّ مكلّف، ومَنْ أنكره كان كافراً خارجاً من ملّة الإسلام، وقد أجمع أهل العلم على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

التقويم

١ أعَرّف: القدر، القضاء.

٢ أعدّد أركان الإيمان بالقضاء والقدر.

٣ أوضّح الفرق بين القضاء والقدر.

٤ أستدل بآية قرآنية كريمة وحديث شريف على الإيمان.

٥ أبيّن معنى العبارة القائلة: «إنّ القدر سرّ الله تعالى في خلقه».

---

١ سبق تخريجه.

٢ رواه مسلم: كتاب القدر، باب كلّ شيء بقدر (٨/ ٥١/ ٦٩٢٢). والكيْسُ: أي النشاط والحذق في الأمور.

الدرس
٣١

الجبر والاختيار

حرية الإنسان واحدة من القضايا التي تناولها عقله وشغلت حيزاً كبيراً من تفكيره منذ أقدم العصور، ولا تزال هذه القضية إلى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة، فهي قضية تتعلق بحياة الإنسان وتتصل بمصيره، ويكدّ ويجدّ في البحث علّه يهتدي إلى الحل الصحيح، كي يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحلّ الذي يهتدي إليه.

و الإنسان حين يبحث في مثل هذه القضية، لا يجعل ميدان بحثه الأعمال الخارجة عن إرادته واختياره، مثل: كونه أبيض أو أسود، أو وُلِدَ من هذا الوالد أو ذاك، أو نبضات قلبه وتنفسه، وجريان الدم في عروقه، فهذه الأشياء خارجة عن نطاق بحثه؛ لأنّ الإنسان لا اختيار له فيها، ولا إرادة.

وإنّما يكون ميدان بحث الإنسان الأعمال التي تدخل في نطاق الإرادة والاختيار، ومدى حريته في ممارستها، مثل: خروجه من البيت، واتخاذه طعاماً معيناً، ولبسه نوعاً من الملابس، وتفضيله لوناً من العلم أو الكتابة، وممارسته حرفة من الحرف، وزيارته لغيره، وهكذا في كلّ عمل من الأعمال الاختياريّة.

وقد اختلفت الأنظار وتضاربت الأفكار تضارباً كادت تنتهي معها معالم الحق. فمن قائل: إنّ الإنسان مسيَّر غير مخيَّر ومجبر على ممارسة نشاطه الاختياريّ، وإنّه كالريشة في مهبّ الريح تتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال.

ومن قائل: إنّ الإنسان مخيَّر غير مسيَّر، وإنّه يمارس أعماله الاختياريّة بمحض إرادته ومشيئته. ومن قائل: إنّ الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب؛ أي أنّ الله يخلق الشيء عند مباشرته؛ أي أنّ الله يخلق الشبع عند الأكل، ويخلق المعرفة عند الدراسة، وهكذا فليس للعبد إلا الكسب، وبه يصح التكلّيف والثواب والعقاب والمدح والذمّ.

■ **والذي نراه في هذه القضية، ونختاره هو ما قرره الإسلام على النحو الآتي:**

قرر الإسلام أنّ الإنسان خُلِقَ مزوّداً بقوى وملكات واستعدادات، وهذه القوى يمكن أن تُوجّه إلى الخير كما يمكن أن تُوجّه إلى الشرّ، فهي ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا الله، وفي الحديث

الصحيح : «**كلّ مولود يولد على الفطرة**»[1]، وفي الحديث أيضاً : «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فُقهوا**»[2]، ويؤيد هذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا** ﴾ الشمس : ٧ - ٨ ؛ أي أنّ الله خلق النفس وهيأها، فجعلها قابلة للتقوى والفجور ومستعدة للخير والشر. والله سبحانه زوّد الإنسان بالعقل الذي يميز به الحق والباطل في العقائد، وبين الخير والشر في الأفعال، وبين الصدق والكذب في الأقوال، كما أعطاه القدرة التي يستطيع بها أن يحقّ الحقّ ويبطل الباطل، وأن يأتي الخير ويدع الشر، وأن يقول الصدق ويجانب الكذب، ورسم له منهج الحق والخير والصدق بما أنزل من كتب وبما أرسل من رسل، وما دام العقل المميِّز موجوداً، والقدرة على الفعل صالحة، والمنهج المرسوم واضحاً، ثبتت للإنسان حرية الإرادة واختيار الفعل.

وفي القرآن الكريم يقول سبحانه : ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ الإنسان : ٣ ؛ أي هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب، فهو إمّا أن يسلك السبيل الأهدى فيكون شاكراً، أو الطريق المعوجّ فيكون كفوراً.

وفي ذات المعنى يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ البلد : ١٠، فكلّ إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه، وإصلاحها حتى تصل إلى كمالها المقدّر لها، فإنّ إصلاحها وتزكيتها وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح هو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله، كما أنّ إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسرانها ؛ قال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ الشمس : ٩ - ١٠، والآيات التي تقرر حرية الإنسان كثيرة جداً، منها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ فصلت : ٤٦ ؛ فأسند العمل الصالح والعمل السيّئ إلى الإنسان، ولو لم يكن الإنسان حرّاً ما أسند إليه الفعل.

وإنّ القرآن ليتحدث عن المفاسد والجرائم التي تحيط بالناس، فيبين أنّها ليست من صنع الله، وإنّما هي من عمل البشر ؛ قال تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ الروم : ٤١، وهذا الذي يقرره القرآن هو ما يشعر به الإنسان من نفسه، فهو يشعر بأنّه يمارس أعماله الإرادية بمحض إرادته واختياره، فهو يفعل منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء، وهو إذا فعل منها ما هو نافع استحقّ المدح، وإذا فعل ما هو ضارّ استحقّ الذمّ.

---

١ سبق تخريجه.

٢ رواه مسلم : كتاب البرّ والصلة، باب الأرواح جنود مجنّدة.

الردّ على مَنْ يقول بالجبر:

لو لم يكن الإنسان مختاراً لما كان ثمّة فرق بين المحسن والمسيء، إذ إنّ كلاً منهما مجبرٌ على ما يفعله، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا فائدة منها، حيث إنّ الإنسان مسلوب الإرادة، ولمّا كان ثمّة معنى لتكليف الله للعباد؛ لأنّ تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذي يتنزّه الله عنه، ويكون الأمر كما قال القائل:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له **إياكَ إياكَ أن تبتلّ بالماءِ**

بل لو كان الإنسان مسيَّراً لضاعت فائدة القوانين، ولبطل الجزاء من الثواب والعقاب.

احتجاج الكفار بالقدر على فعل المعاصي:

وقد أراد المشركون أن يحتجّوا بمشيئة الله على شركهم، (وإنّه لو لم يشأ أن يكونوا مشركين لما كانوا كذلك)، فأبطل الله تعالى حجّتهم ودحضها بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ الأنعام: ١٤٨- ١٤٩.

فالقرآن يردّ على المشركين من وجهين:

الأول: إنّ الله أذاق الكافرين بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم، والكفر والشرك لما عذبهم؛ لأنّ الله عادل لا يظلم مثقال ذرّة.

والثاني: إنّهم زعموا ذلك عن جهل بالله وجهل بدينه، وإنّهم ليس عندهم من علم يمكن أن يُستند ويرجع إليه، وإنّما كفرهم هذا تمرُّد على دينه وافتراء على الحق الذي أنزله على ألسنة الرسل.

مشيئة الربّ ومشيئة العبد:

وقد يقال: إذا كان الله منح العبد الحرية والاختيار، فما معنى قوله ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ التكوير: ٢٨ - ٢٩، فنقول: معناها أنّ الإنسان لا يشاء شيئاً إلا إذا كان في حدود مشيئة الله وإرادته، فمشيئة البشر ليست مستقلة عن مشيئة الله، والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين: طريق الهداية أو طريق الضلالة.

خلاصة مسألة القضاء والقدر:

نخلص ممّا مضى من الحديث في مسألة القضاء والقدر أنّ الإنسان مخيَّر في بعض أعماله ومسيَّر في بعضها الآخر، وهذا هو الرأي الصحيح؛ فالإنسان بذلك يعيش في دائرتين:

الدائرة الأولى: دائرة تسيطر عليه: والأعمال في هذه الدائرة لا تقع منه، بل تكون نتيجتها عليه دون اختياره، ومن ذلك: تكوين جسمه، ولادته وموته، فهذه وقعت عليه وليست منه، فلا يحاسب عليها ثواباً أو عقاباً؛ إذ ليس له فيها اختيار، وحاشا لله تعالى أن يحاسبه على ذلك. ومثال ذلك -أيضاً-: أن يطلق صياد رصاصة على طائر في مكان خالٍ من البشر فيصيب إنساناً فيقتله، أو أن يرجع سائق بسيارته إلى الخلف بعد أن ينظر يميناً ويساراً ووراء وأماماً، فلا يجد أحداً ويأتي طفل فجأة، ويضع نفسه خلف السيارة فيقتله دون إرادته، ففي هذين المثالين لا إرادة للمقتول في الفعل فقد وقع عليه بفعل غيره.

الدائرة الثانية: دائرة يسيطر عليها: وهي تتعلق بأعماله وتصرفاته التي تقع منه، سواء أكانت خيراً أم شراً، وهذه الدائرة يحاسب الإنسان عليها ثواباً وعقاباً بحسب ما يفعل؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة: ٧-٨، فالله تعالى يطلّع على هذه الأعمال ويحاسب عليها؛ قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق:١٨، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ البقرة: ٧٧.

التقويم

١ أذكر آراء العلماء حول أفعال الإنسان وإرادته.

٢ أبيّن علاقة الاختيار والجبر في أفعال الإنسان بالثواب والعقاب يوم القيامة.

٣ كيف تردّ على المشركين في احتجاجهم بالقدر على ارتكاب المعاصي؟

٤ أوضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ التكوير: ٢٨-٢٩.

٥ كيف تردّ على مَنْ يقول أنّ الإنسان مسيَّر في أفعاله؟

الدرس ٣٢

الهداية والضلال

الهداية في اللغة تعني: الدلالة والرشاد. ومنها قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ البلد: ١٠.

وفي **الاصطلاح** تعني: إقامة الإنسان وجهه على الدين الحقّ؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: ٣٠.

وأمّا **الضلال في اللغة** فهو الخفاء والغياب. وفي **الاصطلاح**: انحراف الإنسان عن الدين الحنيف. فكأنه أخفى الفطرة عنده، وغيّب عقله عن التفكير الموصل إلى الدين الحقّ.

ولمّا كان الإيمان بالقدر فرع من الإيمان بأسماء الله وصفاته، وخاصة صفات الإرادة والقدرة والعلم والعدل، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن تترك للإنسان حرية الاختيار، بعد أن عرّفه طريق الهدى وطريق الضلال، وأعطاه القدرة على الاختيار؛ ليتحمل بعد ذلك كامل المسؤولية عن اختياره؛ قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٥٦.

أنواع الهداية:

للهداية أربعة أنواع، هي:

الأول: هداية الله تعالى لعباده، وهي بمعنى التوفيق والسداد والإلهام، وهذه من اختصاص الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الحج: ٤٥.

الثاني: هداية الأنبياء والرسل: وهي هداية الدلالة والبيان، حيث إنّهم -الأنبياء والرسل- الأدلاّء على كلّ هدى وخير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۗ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد: ٧؛ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٢٥.

الثالث: هداية الإنسان لأخيه الإنسان، وهي المنبثقة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذا قول النبيّ ﷺ لعليّ رضي الله عنه: «**لأَنْ يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حُمُر النعَم**»[1].

الرابع: هداية الإنسان لنفسه: ويكون هذا في تعرُّض الإنسان لأسباب الهداية ومنافذها، وتكفّل الله لمنْ كان صادقاً في ذلك أن ييسّر له الهداية؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الليل: ٥-٧، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ محمد: ٧١.

---

١ صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب.

أسباب الهداية:

لقد ربط الإسلام بين الأسباب والنتائج، أو المقدمات والنهايات، فمَنْ سلك أسباب النجاح سيبلغ النجاح، ومَنْ سلك أسباب الهداية سيصل إليها.

وأهم هذه الأسباب ما يأتي:

أولاً: **مجاهدة النفس**، أو بذل الجهد المطلوب للوصول إلى الهداية؛ وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٩٦.

ثانياً: **انشراح الصدر**: فالبحث عن الحق والهدى قضية فطريّة، وهذا البحث بمقدار ما يكون بنفس مقبلة صادقة مع نفسها بمقدار ما ييسر الله لها ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الأنعام: ٥٢١.

ثالثاً: **اتّباع النور الذي أنزله الله على أيدي أنبيائه ورسله**؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ المائدة: ٥١ - ٦١.

أسباب الضلال:

إذا كان للهداية أسباب ومقدمات فكذلك للضلال، وكلّ مَنْ يأخذ بالأسباب لا بدّ أن يصل إلى النتائج.

ومن أسباب الضلال ما يأتي:

أولاً: الظلم: وفي مقدمة الظلم أن يظلم الإنسان نفسه، فيُعرِض عن آيات الله، أو يغلق أبواب الهداية ومنافذها؛ وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ الكهف: ٥٧.

نشاط:

أرجعُ إلى كتاب في الحديث الشريف، وأستخرج منه حديثاً يدلّ على تحريم الظلم.

ثانياً: **التكبُّر في الأرض**، وهو مرض إن أصاب إنساناً يعميه ويُضلِّه عن الطريق المستقيم، بل إنّه يقلب له الأمور؛ فيريه الحقّ باطلاً والباطلَ حقاً؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ٦٤١.

ثالثاً: **الفسق**: وهو العصيان ومجاوزة حدود الشرع، فأيّما إنسان تجاوز حدود الشرع وخرج عن الطاعة فسيصل إلى الضلال؛ كما قال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ البقرة: ٦٢.

رابعاً: **استحباب العمى على الهدى**: إنّ طريق الهداية فيها التزام وانضباط سلوك، وتحمُّل مسؤولية، بينما طريق الضلال تفلُّت وهروب من المسؤولية. والنفس ترتاح إلى الانفلات إلا إذا التزمت بضوابط الإسلام وقواعده؛ وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ فصلت: ٧١.

ومن هنا فإنّ قمة الاحترام للإنسان أن يترك له مجال الحرية والاختيار للهدى أو الضلال، فلا يجبر أحداً على هداية أو ضلال، كما أنّ تحمُّل الإنسان للمسؤولية يتوقف على حريته واختياره.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) الإيمان بالقدر فرع من الإيمان بأسماء الله وصفاته.

ب ( ) لا علاقة بين الأسباب والنتائج في نظر الإسلام.

جـ ( ) الهدى لا يزيد ولا ينقص.

٢ للهداية أنواع، أذكر ثلاثة منها، مع دليل شرعيّ على نوع واحد فقط؟

٣ أعدّد أهم أسباب الهداية.

٤ التكبُّر من صفات الله سبحانه وليس من صفات المخلوق. أذكر آية كريمة تدلّ على ذلك.

الدرس ٣٣

آثار الإيمان بالقضاء والقدر

التوكّل على الله تعالى، وربط الأسباب بالمسببات من جملة القدر، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه، وسيّره وفق سنن وقوانين ثابتة، وهذه السنن والقوانين سواء في حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات لا تتغير ولا تتبدل، ومثال ذلك: النار تحرق، والسكين تقطع، والإنسان لا يمشي على الماء ولا يطير في الهواء، وعليه كان لا بدّ قبل مباشرة الفعل والقيام به من ربط الأسباب بمسبباتها، ومعرفة خواصّ الأشياء التي خلقها الله تعالى فيها، فليس للإنسان أن يلقي بنفسه في النار، أو عن بناء شاهق، أو يلقي بنفسه في الماء دون معرفته السباحة أو اتخاذ قارب، أو يسير لقتال عدوه دون إعداد العُدّة، مدّعياً في هذا كلّه أنّه متوكلّ على الله تعالى وما قدّر له كائن، فهذا ينافي التوكّل الشرعيّ الصحيح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكّلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ البقرة: ١٩٧[1]؛ لذلك كان التوكّل عليه -سبحانه وتعالى- أولاً وقبل كلّ شيء؛ ثم الأخذ بالأسباب قبل مباشرة العمل جزءاً لا يتجزأ من عقيدة القضاء والقدر، وهذا ما تضافرت عليه نصوص الشريعة من القرآن والسنّة.

آثار عقيدة القضاء والقدر في حياة المسلم:

أولاً: الإيمان بالقضاء والقدر يورث الإيجابية والعمل وينفي السلبية والكسل:

على المؤمن أن يعمل ويجدّ في عمله، وعليه أن يبتعد كلّ البعد عن الخمول والكسل، والواجب عليه كذلك أن يجمع بين التوكّل على الله تعالى والأخذ بالأسباب، وهذا ما دعت إليه نصوص الشريعة، فقد أمرت بالعمل؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة: ١٠٥، وبالتوكّل على الله؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إبراهيم: ١٢، وأمرت كذلك بالأخذ بالأسباب في مختلف شؤون الحياة، ففي طلب الرزق؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ الملك: ١٥، ومثل ذلك إعداد العدّة لملاقاة العدو؛ قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠، والأخذ بالأسباب لا ينافي القدر، بل هو من جملة القدر، وهذا ما كان عليه

---

١ رواه البخاري: كتاب الحج، باب قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

النبيّ ﷺ، فقد كان يرفع يديه سائلاً الله تعالى النصر، في الوقت الذي يعدّ العدّة للقتال، ويحثّ صحابته على العمل وينهى عن العجز والكسل، قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشيطان**»[1]، ويأمرهم بالتداوي وطلب الشفاء، وقوله لما سأله الأعراب: أنتداوى، فقال: «**تداووا فإنّ الله -عزّ وجلّ- لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم**»[2].

وعلى هذا الأساس تربى الصحابة رضي الله عنهم، وتعلموا من النبيّ ﷺ، فكانت حياتهم مثالاً يحتذى به في المجالات كافّة: عبادتهم وجهادهم، إقدامهم وشجاعتهم، كرمهم وعطائهم، فقد كانوا متوكّلين على الله تعالى، لا يتوانون عن ذلك طرفة عين، آخذين بالأسباب وراضين عن النتائج، غير عاجزين ولا مستسلمين، يعلمون أنّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وقد ضربوا بذلك أروع الأمثلة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأمصار، وأخبروه بانتشار الوباء فيها، وعندما أمر عمر بالرجوع، قال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً لها عُدْوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله[3].

ومن خلال ما سبق نتبيّن أنّه يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب.

■ ثانياً: الرضا والتسليم وعدم الجزع مما أصابه أو الأسى عما فاته:

فالمؤمن يعلم أنّ الخير والشر مقدّران من الله تعالى، وكلّ شيء مقدر ومكتوب، ولا يقع عليه ذلك إلا بأمر الله تعالى ومشيئته، فلا يجزع ممّا أصابه، ولا يأسى عمّا فاته، إذ لو قدّر له لأدركه؛ قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد: ٢٢. وليس المقصود بالتسليم ترك الأخذ بالأسباب والاستسلام لما يقع عليه من بلاء أو ظلم أو تسلط لعدو، بل عليه أن يبذل قصارى جهده للخروج ممّا هو فيه، والتغلب على الصعاب فإن جاءت النتيجة وفق ما أراد فهذا بتوفيق من الله تعالى، وإن جاءت على خلاف ذلك فليصبر ويحتسب وفي كلّ خير.

---

١ رواه مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز.
٢ رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى.
٣ ينظر: القصة بتمامها في البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

■ **ثالثاً: القوة والعزيمة والإقدام:**

فعقيدة القضاء والقدر تُكسب صاحبها الشعور بالعزّة والقوّة؛ فيستصغر قوى الأرض جميعاً أمام إيمانه بقدر الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة: ٥١.

■ **رابعاً: الصبر والشكر على قضاء الله تعالى وقدره:**

فالمؤمن دائم الصبر على ما أصابه من مصائب، شاكراً الله تعالى على نعمه، فقد قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر وكان خيرا له**»[1].

■ **خامساً: الطمأنينة والسكينة:**

فالمؤمن بعيد كلّ البعد عن الحيرة والتردد والاضطراب النفسيّ؛ لأنّ إيمانه بقضاء الله تعالى وقدره جعله مطمئناً وراضياً، فوجد السكينة ولذّة الإيمان، فقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه: «يا بني، إنّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: ربّ، وماذا أكتب؟، قال: اكتب مقادير كلّ شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ مات على غير هذا فليس مني**»[2].

ومن هنا كان لهذه العقيدة أعظم الأثر في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، فانطلقوا حاملين لواء الإسلام والدعوة إلى الله تعالى بلا خوف أو وجل، ووقفوا في وجه الظلم والطغيان، وهانت عليهم الصعاب فذلّت لهم الرقاب، وخضعت لهم الجبابرة، وما كان لهذا كلّه أن يحدث لو لم يسلكوا تلك الطريق التي بيّنها لهم رسول الله، وعلّمهم إياها، فها هو ﷺ يُعلّم ابن عباس رضي الله عنهما فيقول له: «**يا غلام إنّي أعلمك كلمات: احفظِ الله يحفظك، احفظِ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنت فاستعنْ بالله، واعلمْ أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلام وجَفّتِ الصحف**»[3].

---

١ رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.

٢ رواه أبو داود، كتاب السنّة، باب القدر.

٣ رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حديث حنظلة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) التوكّل على الله تعالى والأخذ بالأسباب من جملة القدر .

ب ( ) يسير الكون وما فيه وفق سنن وقوانين ثابتة .

جـ ( ) يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب .

د ( ) كلّ شيء مقدر ومكتوب بما في ذلك الخير والشرّ .

٢ أمثّل بمثال واحد لكلّ مما يأتي :

أ كان رسول الله ﷺ يعلّم الصحابة الأخذ بالأسباب .

ب كان الصحابة يجمعون بين التوكّل على الله تعالى والأخذ بالأسباب .

٣ أذكر ثلاثة من آثار الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم .

٤ ما المقصود بقولنا : (على المسلم الرضا والتسليم لقضاء الله تعالى وقدره) .

٥ أعلّل : المؤمن بعيد كلّ البعد عن الحيرة والتردّد والاضطراب النفسيّ .

٦ أستنبط ما تدل عليه النصوص الشرعية الآتية من معانٍ :

أ قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الحديد : ٢٢ .

ب قوله ﷺ : **«عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر وكان خيراً له»** .

جـ قوله ﷺ لمّا سأله الأعراب : أنتداوى، فقال : **«تداووا، فإنّ الله -عزّ وجلّ- لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد : الهرم»** .

المصادر والمراجع:

١ الأشقر، عمر سليمان، عالم الجن والشياطين، ط ع، مكتبة الكويت، ١٩٨٤ .

٢ الأشقر، عمر سليمان، القضاء والقدر، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٠ .

٣ البوطي، محمد سعيد، كبرى اليقينيات الكوفية، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢ .

٤ الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي .

٥ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت .

٦ الجوزية، ابن قيّم، إغاثة اللهفات من مصائد الشيطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤ .

٧ الجوزية، ابن قيّم، شفاء العليل لمسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المكتبة العصرية، لبنان .

٨ الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ .

٩ ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني، المسند، تحقيق وتعليق مجموعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت .

١٠ الخطيب، محمد أحمد، دراسات في العقيدة الإسلامية، ط١، دار عمار، عمان، ١٩٩١ .

١١ السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها، ط١، منشورات وزارة الأوقاف، عمان، ١٩٨٣ .

١٢ سابق، سيد، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٣ السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت .

١٤ آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، مطبعة السنة المحمدية، السعودية .

١٥ الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥ .

١٦ عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، ط١، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٩ .

١٧ الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، مطبعة حسان، القاهرة، (د.ت).

١٨ القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤ .

١٩ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس .

٢٠ مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الكتب العلمية .

٢١ ابن منظور، أبو الفضل جمال، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٢ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٧٩م.

٢٣ ياسين، محمد نعيم، الإيمان: أركانه ونواقضه، ط٦، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧م.

المشاركون في إنجاز هذا العمل:

تم الكتاب بحمد الله